ساعدت وزارة الاعلام على نشره

الصنم المحطم

و

عجوز تصابى

قصتان بقلم

عبد المسيح وزير

الصنم المحطم و عجوز تتصابى

بقلم

عبدالمسيح وزير

ساعدت وزارة الاعلام على نشره

الصنم المحطم

وقصة

عجوز تتصابى

قصتان بقلم

عبد المسيح وزير

تنشرهما ابنته اينس وزير

مقدمة

في ذكرى
عبدالمسيح وزير

الكلمة التى القاها الاستاذ روفائيل بطي فى نادى القلم » ببغداد يوم ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٤٣ بمناسبة الاربعينية ولم تنشر فى حينه حتى نشرتها جريدة (البلاد) فى عددها ٤٤٤٩ الصادر فى ٢٠ـ٩ـ١٩٥٥ ٠

يختلف هذا الاجتماع الذى يعقده (نادى القلم) عما سبقه فى الاجتماعات فنحن نجتمع لذكرى زميل اغتاله الموت على غرة وهو اصح ما يكون جسما وانشط روحا وانبه ذهنا فلم يقصر الرزء على اسرته المفجوعة بعمادها وعنوان عزها وبلاده المفتقرة الى رجالها الموهوبين وانما يعد مصاب الادب الحديث فيه أشد فداحة وفقيدنا العزيز دخيرته التى لم تلتمع فى شمس الذيوع من مخباتها غير جوهرة واحدة ٠

نشرتها جريدة (البلاد) فى عددها ٤٤٤٩ الصادر فى ٢٠ـ٩ـ١٩٥٥.

ارادني نادينا على الكلام في حياة الاستاذ عبدالمسيح وزير وادبه فلبيت مؤديا واجبي يدفعني اليه الاخاء والزمالة وليست خسارتي لصديق فحسب في ايام تكشفت عن ندرة الاصدقاء بل قد انتزع الردى مني شقيقا لروحي طالما استوحيت من احاديثه الطريفة والتفاتات ذهنه وشخوص عينه وازيز قلمه معاني كبيرة ونشدانا للمثل العليا وتقديسا للفن وعبادة للجمال بحيث يتساوى عندي جواره ساعة او صحبة لاحد الخالدين ٠

وليس بدعا لاتصال الادب بيننا فقد عرفت هذا الاديب المتفنن سنين طويلة وقفت على اثره قبل ان القاه واحدثه ففي غياهب الحرب العظمى الماضية وقعت في يدي مجلة (مدرسة التهذيب) التي اصدرتها كلية الشويفات الوطنية بلبنان عام ١٩١٣ يحررها (عمسيح وزيريان) فطالعتني صفحات هذه المجلة الادبية بأنوار الفكرة المشعة والذوق السليم والنظرات الانتقادية ٠

واذكر ان محررها النابه وقف ينتصر لاثنين من نوابغ علماء العرب ٠ ازدرى الاول مواطنوه واستخفوا به لما القى خطابه في بيروت (من الملوم ؟) ثم امتطى غارب البحر وقصد معاهد العالم الجديد فعرفت الجامعات الامريكية فضله واكبرت رسوخه العلمي فمجدته فنقل عمسيح صدى

تمجيد هذا العالم العامل الدكتور فيليب حتي الى عشيرته على شطئان البحر الابيض المتوسط وقد صدقت فراسة ادبينا فسما نجم (فيليب حتي) حتى استفاضت شهرته وجلت خدماته للعرب وتاريخهم الزاخر وآدابهم القومية بين المتكلمين بالانكليزية ودارسى احوال المشرق من الاغراب ٠

وجهل الثانى بنو جنسه بعد ان رفعه نبوغه الى مصاف كبار العلماء فى انكلترا فتحدثت عنه المجلات العلمية الرزينة واسهبت فى شرح نظرياته فى (علم الحياة) ومعضلات العلوم الطبيعية فنقل مترجمنا القدير اقوال هؤلاء فى الدكتور وليم طالب صليبى فاذا العرب يتيهون اعجاباً بان يقف اخوهم فى اللحم والدم فى الصدارة من علماء الارض فيثبت بحق انه حفيد نوابغ عصر العرب الذهبى فى القرون الوسطى ٠

ان البيئة التى نشأ فيها زميلنا العزيز فى ذلك الاقليم الشمالى القاسى ، جبلته متين العضل جلدا على العمل وما خطر عليه فى حسن دقيق وعاطفة ملتهبة وخيال مجنح جعلته يتخطى قومه الغافين فى رقدة الشرق فخرج على تقاليد مجتمعه منذ اخضر عذاره فكان مجددا فى حياته الاجتماعية كما روى لي مطران الموصل وقد عرفه فى بلده

ماردين وشهده يفك عنها وهـــاق عادات باليات • لكن عبدالمسيح التهذيب الدينى منذ حداثته وثقف فى معاهـد انجيلية فى (مدرسة الرجاء العالى) بماردين وفى كلية عينتاب الاميركية فشب فى جو مشبع بتعاليم الكتاب المقدس فكان لذلك ولاساتذته المرسلين اثره فى هـذا ـ الخلق الوادع الذى يزينه • الا ان ادمانه قراءة اصحاب العقول الثائرة والمتشككة من الفلاسفة وسع آفاق ذهنه وانشأ فى رأسه هذا الصراع المشبوب بين الشك واليقين •

اشتغل الاستاذ وزير بالتعليم وتحرير (مدرسة التهذيب) فى لبنان وانهمـك فى قراءة الكتب العلمية والادبية بلغة شكسبير • وتطبق الحرب الضروس بظلماتها على لبنان ويتطلب الاديب نجوة من قلائل الجيل فيقصد الى وادى النيـل حيث يستعان بتضلعه من اللغتين العربية والانكليزية فى الترجمة فى الصف دوائر الحرب بنهضـة العرب وثورتهم الكبرى • ويستدعي تأسيس دولة العراق سنة ١٩٢١ وقيام الاستشارة الاجنبية فى جوانبها البحث عن المترجمين الحاذقين فينتدب عبدالمسيح وزير للترجمـة فى وزارة الدفاع اول تكوين الجيش العراقى فيؤدى هذه المهمة خير تأدية ويتوفر لايجاد المصطلحات العربية للفنون العسكرية وقد غنمت الثقافة العسكرية وقد غنمت الثقافة

العسكرية العربية من مساعيه وكفايته وعلمه وانكبابه اناء الليل واطراف النهار على التنقيب والتحقيق والبحث في المعاجم ودواوين اللغة والاسفار العربية والانكليزية هذا (المعجم العسكري) البكر في اللغتين مما بحثه زميلنا الضليع السيد توفيق وهبي • وكان المؤلف رحمه الله ينوي ان يكسره على ثلاثة حجوم : معجم عسكري للجيب ، ومختصر المعجم العسكري ، ومطول المعجم العسكري ، وقد شرع فعلا في طبعه فعسى ان ينهض من يتعهد بطبعه ونشره تعميما للفائدة • وبجانب هذه المصطلحات العسكرية الدقيقة التي وضعها وزير واودعها عصارة فكرة •

ومع أن اديبنا الجبار احتسب اوقاته كلها لشغلة الرسمي في ديوان الترجمة ، فقد اشغل اويقات فراغه بالقراءة والدرس في التآليف الانكليزية الثمينة • فكان الزبون الاول لمكتبة (ماكنزي) لا تلقاه الا متأبطا رزمة ضخمة من الكتب الجديدة ومجلات الموسم ويشارك في الاحايين قراء العربية في الصحف والمجلات العراقية في المحصول الذي يجنبه من هذه المطالعات في الكتب قبل ان يشركهم في زاد خبرته الذي حصله في طريق الحياة • فنجده من الرواد الباحثين في (نظرية النسبية) للعلامة انشتين يبسطها ويوجزها للقارئين العاديين فيسبق الكثيرين

فى هذا الميدان من علماء مصـــر والشام ۰ ونراه يترجم (القيصرة فى مقصورتها) وتنشرها جريـــدة « العراق » متسلسلة قبل عشرين سنة وهى اسرار مدهشة اعلنتهـا البارونة (زينتسا فكوف) وصيفة امبراطـــورة الروس الاخيرة وكاتمة اسرارها وقد عني بجمع الكتاب ونشــره بالانكليزية الكاتب المعروف « وليـــم ليكيو » وتضمنت الرسالة اسرار البلاط القيصرى فى الروسية دسائس الالمان هناك قبل الحرب العظمى الاولى ۰

ولـما اصدر الجنرال طاونزند احد قواد الاحتـلال الانكليزى للعراق (حملتى فى العراق) خف الاستاذ وزير الى ترجمته ونشره بعنوان (خواطر طاونزند) فأقبل عليه القراء من رجال الجيش وغيرهم بلهفة وقد علق العقيد طه الهاشمى رئيس اركان الجيش العراقى سابقا على هــذه الترجمة بمقال انتقادى فى مجلتى (الحريـــة) العدد ٢ السنة ١ جاء فيه « ۰۰۰ فاذا لم يكن فى هذا الكتاب من المباحث العسكرية العامة والوقائع الحربية المفيدة فيكفيه فخراً انه اول سفر عسكرى نشر فى عالم الضاد ومما زاد اهمية هذا السفر ذكر المصطلحات العسكرية فيـه فيتقن القارىء بكل سهولة جميع المصطلحات العسكرية المرعيـة فى الجيوش الاوربية ويقف على معناها الصحيح » ۰

وزف الاديب الجندى (اريك ماريار مارك) الى عالم الادب كتابه النفيس فى التشنيع على الحرب (كل شىء هادىء فى الجبهة الغربية) ونشرت ترجمته الانكليزية وسارع زميلنا فى اطلاع القراء بلسان الصحف على هذا الاثر الذى سرى بين الناس سريان البرق ولايكاد الكولونيل لورنس الشهير يذيع فى الملأ كتابه (ثورة فى الصحراء) حتى يشرع وزير فى نقله الى العربية بعنوان (الثورةالعربية) وقد استعد لطبعه فى مصر وهيأ له الصور التاريخية والرواسم باقلام مشاهير المصورين وصدرت هذه الترجمة بمقدمة فيها آراء عن لورنس واثره فى ثورة العرب والفريق عزيز علي باشا المصرى نافخ الروح القومى فى الشباب العربى فى عاصمة الامبراطورية العثمانية • كما افتتح المترجم السفر بفصل شائق فى تحليل شخصية لورنس العلمية والكتابية والسياسية والحربية ونقل مقال المستشرق الدكتور هوغارت استاذ لورنس ـ فى وصف كتاب تلميذه ولكنه انصرف عن هذه الترجمة بعد حين ولم يظهر منها غير كراستين • ونقل الى لغة الضاد الجانب الاكبر من احد دواوين (رابندرانات طاغور) (الزورق الذهبى) واذاعه طاقات منثورة فى الصحائف الادبية شعراً يتضوع وفكرا يلتمع • وكان شغوفا باشعار طاغور

وقد لازم هذا الشاعر الروحانى المبدع لما زار بغداد سنة ١٩٣١ ، كما كان مولعـــا بآثار الفيلسوف السويدى (سويد تبرنغ) متأثرا بنزعته التصوفية • وترجم الفصل الخامس (لعبدالرحمن الناصر) من كتاب (مجد الاندلس العربية) تأليف (جوزيف مكيب) وطبعــه سنة ١٩٣٩ مزينا اياه بصور وخرائط نادرة وجعل ريعه لمنـــكوبى فلسطين وما اروع تقديمه هذه الترجمة • « الى روحى فروة بن عمرو الجذامى أمير سلع •••• ملك العرب » • فهـو ينم عما يضطرم فى قلبه من غرور قومى وعزة عربية •

اما طريقة عبدالمسيح فى الترجمة فدقة فى النقـل ومتابعة الاصل بما يقرب من الترجمة الحرفية مع مراعاة الفروق فى التعابير بين اللغتـين وعنايـة بالغة بفصـاحة المفردات وافراغ العبارة فى ديباجة مشرقة وتركيب محكم• وقد بحث الفقيد (صناعة المترجم) وخطورتها والجـادة المثلى منها فى محاضرة القاها فى هذا النــادى ضـمت الى (مجموعته الاولى) فلما اطلع عليها محرر مجلة (المقتطف) الشهيرة اعجب بما رسمه المترجم البـارع فيها من قواعد وحدود فأشار بها واقتبس منها ووجه الانظار الى معالمها • ويحسن بنا ان نقتطـف منها ما نقله الشـاعر المترجم الانكليزى الكبير السرجون دنهام قوله (لا يصلح للترجمة

الا نابغة النوابغ) لنشير الى فضل المترجم الذى تكـرم ذكراه الان • ولم يكن الرجل يرتجل عملـه فى النقـل والكتابة ارتجاليا ولا سيما للاثار العلمية والادبية بل يعد الاصول ويحملها فى جيبه ويستخرجهـا كلما لقى اديبـا حاذقا او لغويا منقبا فيأخذ فى مناقشته فيها حتى تبلغ اعلى مرتبة من التجويد وهذه العـادة تذكرنى بمثلهـا عرفت لحافظ ابراهيـم شاعر النيـل فقد ظل يحمـل ترجمـة الصفحات من بؤساء (هوگو الشهير) شهرا يطوف بهـا على الادباء والكتاب المصريين للتثبيت من فصـاحتها حتى ظهرت مقفعية الصياغة جاحظية الافصاح • وصفة اخرى كانت لصاحبنا فى اعماله الادبية شأن العلماء المدققين وهى كثرة الرجوع الى المختصين لمعالجة موضـوعه وتمحيصـه ليشارف الكمال فهذه الرسالة التى ترجمها عن (مكيب) فى عبدالرحمن الناصر وهى لا تتجاوز ٣٩ صفحة قال فى مقدمتها فى معرض الشكر ونسبة الفضل الى اهله انـه ترجمها بأقتراح فخامة طه الهاشمى وقد طالع مسوداتها كما طالعها الاستاذ ساطع الحصرى وابدى له ملاحظـات مفيدة الاستاذ عبدالرزاق الحصـان الذى لاحـظ عليـه ملحوظات خطيرة ووقفت على طبعها الانسـة عفيفة صعب التى قرأت الترجمة قبل الطبع وبعـده (كذا) ولعل هذا

الالحاف فى التدقيق وهذه الرغبة الملحة فى التجويد جعلته كثير التانى مترددا غير مقدم فى النتاج الادبى فاقتصرت اثاره على ترجمة الكتب العسكرية العديدة ووضع المصطلحات الفنية لها وكتابة قطعة ادبية واحدة ساتحدث عنها بعد حين ونهجه ان يكون الادب (ارستقراطيا) (١) يصون الاعلام فنونه وغوالبه عن الاسفاف والابتذال ٠ ومن بدوات هذا الاديب نزعة المرح والافكوهة ٠

وفى هذه القصة التى سما بها وزير الادب الى القمة محصول ثقافته ودراسته فضلا عما اسعفته مواهبه الدافقة واملت عليه تجارب الحياة القاسية وقد اكتوى بنار الواقع واذته لدغة العقرب فجاشت عاطفته وسطع خياله ونضجت فكرته وازدهر بيانه فابدع فى التحليل وتفرد فى التلوين وهكذا رفع كاتبنا على هذه الاركان الاربعة صرح مجده الادبى ٠

ففى مطاوى هذا الاثر الغالى يطلع الناقد على قطوف المنشىء ثمرات القرائح وتوغله فى دراسة اساطير الكلدان وغيرهم من سكان هذا الوادى اخص منها (اسطورة

---

(١) كان هذا رأى الكاتب الاستاذ روفائيل بطى وان كنا نخالفه فى الرأى ٠ (اينس وزير) ٠

الطوفان) - (واسطورة جلجامش ملك الوركاء) التى هى اول قصيدة شعرية حماسية تدفع العراقيين الى الفخار بأنهم اول من ابتدع الشعر الحماسى القصصى الذى يطلق عليه الفرنج اسم (ايبوبى) ويقول النقاد ان الادب العربى خلو منه ويظهر أن فقيدنا كان ينوى ان يشفع هذا الاثر بلواحق اعلن عنها فى احدى رسائله منها (لدغات عقرب) و (عجوز تتصابى) (وشيخ يتصابى) و (قصتى معها) وكلها مما يحيك صدره من آلام الحيـاة وقد لمس وتلوق واحترق · عاش هذا الاديب الفذ ومات من دون ان تمكنه ظروف حياته وقيود المجتمع من ان ينتج قلمه الاثار المرجوة منه · اعد مشروعات تأليف وترجمات كثيرة لم يتممها · طفق يكتب فى صحيفة بغدادية فصولا فى حياة الاستاذ الكبير معروف الرصافى نحا فيها منحى جديدا فى كتابـة السير ولكنه وقف فى المرحلة الاولى · وحاول ان ينظم الشعر العربى فلم يجله لانصرافه الى القراءة الانكليزية وعلم تمرسه فى النظم العربى·قرا لى قصيدة (فى الجنينة) لم تعجبنى مبانيها فقلت له يا استاذ اترك النظم واحتفظ بالشعر فأنت شاعر مطبوع يوم ولدت ·

اذا لم يجد عبدالمسيح القصـة فلقد كانت حياتـه قصيدة متوهجة صحبناه وعرفناه وذوقه الراقى وصـدق

عاطفته وسماحه قريحته وجدانه يحيا للفن ويتعبد روائعه ما تحرك منها وما جمد فذهنه ابدا مشغول مما يطيف به من اخيلة الحسن والفضيلة والمجـد ٠

يبيت ويصبح بين كتب رجال الاداب والفنون والعلم ويستمع لبتهوفن وشوبرت فيطير مع ألحان الوجود يسعى اوقات راحته الى رجال الفكر واعلام الادب واشباح الفن حيث تلقفهم من مقيمين وزائرين ٠

فى حجرات بينه صور عشرائه الرصافى وبتهوفـن وطاغور وفى مخدعه آيات المصورين النبغاء بينها (القارئة) و (النعم الثلاث) وتمثال (فينوس) اعجوبة النحاتين ٠

أتناول حبه للاطفال ، كم كان جياشا ، فلقد افتقدت وليدا لم يجاوز الشهر الرابع فكتب الى قطعة من قلبـه تحدثنى بولعه بالاطفال فتسلينى ٠ كانت ابنة اخيه (منو) تعيش فى حضنه اكثر وقته البيتى وقد سجل تعلقه بها فى صورة بديعة تمثل صفحات نفسه وحنانه اللهـاف ٠ ولعل افسر منه هذا التعلق بالطفولة البريئة التياعـة من غدر البشر الكبار فأنحصر عطفه الانسانى المطبوع للصغار٠

يا اخوان عبدالمسيح وزملاءه : اذا كان المـوت قد فجعكم بهذا الزميل المحبـوب فما استطاع ان ينزع منكم

الا اصغر شيء فيه وهو الجسم المعرض للفناء اما روحه بمعانيها العذبة ونورها الفياض فهي خالدة في اذهانكم راسخة في قلوبكم وذكرا ه الطيبة وآثاره النفيسة اكبر سلوان لاسرته الكريمة عزاها الله ٠ ففي ذمة الخلود ايها الاخ الحبيب والاديب الشهيد ٠

روفائيل بطي

صاحب مجلة « البلاد » البغدادية

ورئيس تحريرها

القصة الاولى

عجوز تتصابى

لدغات عقرب

بقلم عقربان(١)

قالت :

ـ حلمتُ به فى نومى عقرباً تدبُّ على جسمى ، سأحاول سحقها بنعل قبـل أن تؤْذينى .

قـال :

ـ لا بدَّ لشباة العقرب من لدغات مؤلمات قد تميت قبل سحقها ؛ هذه بعضها .

---

(١) عقربان ، توقيع مستعار لعبدالمسيح وزير .

الى كل قارىء وقارئة

هذه قطعة قدت من صميم الحيـــاة ، وفاجعة كتبت بمداد من نار ودم •

هذه قصة عاشـــق امين وفي تصف موقفه الفاجع مع معشوقة خائنـة ماكرة اعتقد حقبة طويلة انها تضيء سبيلـــه المظلم بنبراس حبها الخـالص ، فضحى من اجلها آله واصدقاءه واصحابه ووقف لها ولذويها شبابه ووقته وماله وقصـر مساعيه كافة على مصالحها وحدها •ولكنه لما بلغ منتصف طريقـه الى السـعادة والخلـود اطفأت تلك المعشـوقة الخيدع المشعل المنير غدراً وخيانة ، فبات وحيداً فى السفر ، يتخبط بغير هدى فى تيــه الحياة الوعر ، ويتلمس بلا جدوى طيـة النجاة فى لغز المنى المضـــل ، حائراً فى

أمره ، خائبا فى أمله ، يائسا من مصيره ، منكوباً فى عاطفته .

هذه صرخة غضب يرسلها ذلك العاشق المخدوع الناقم فى وجه تلك المعشوقـــة الفاجرة الجانية ـ ناكثة العهـــود وناكرة الجميل ـ (زهرة) بنت (اشتار) وربيبة (كالي) !

عبدالمسيح وزير

كتبت فى بغداد فى اليوم السادس من شهر ايار من السنة الثامنة والثلاثين وتسعمائة بعد الالف .

١٩٣٨/٥/٦

عجـوز تتصابى

تعشقتها شمطاء شــاب وليدهــا
وللناس فيمـا يعشــون مذاهب

حدثني صديق خبيث قال : ـ

ولدت عجوزنا في شهر البزازين[1] ، سنة ١٨٨٥ فهي الان[2] في الرابعــة وال ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ خمسين من عمرها ، وفي نفسها طبائع السنور كافة ما عدا غريزة البقـاء في الدار التي تأوي اليهـا ٠

كانت عجوزنا قبل بلوغها الخمسين من دعاة الاقتصاد في الملبس والحشمة في المظهر ٠ فلم تكن في ذلك العهد السحيق تتجمل بسوى القليـل من المساحيق ولا استعملت غير الدهون البريئة والعطور البسيطة بحجة طرد البعوض اللاسع ومنع العرق الذفر ، لان ـ على دعواها طبعا ـ لسعات البعوض تقض مضجعها الناعم ورائحة عرقها كريهة تضايق الجلاس وينفر منها الناس ٠

---

(١) القطط ٠

(٢) اى في عام ١٩٣٩ ٠

أما المشد فكان رخيص الثمن من بضاعة المزاد العلني، ومع ضخامة بطنهـا لم تكن تلجأ اليه الا عنـد الضرورة القصـوى .

ثم انني طالما كنت اسمعها في عهد الحشمة والرشـد تنحو باللائمة على « الغبيات » اللواتي ينفقن المال جزافا على تجعيد الشعر ـ موقتة ودائمة ـ غير انهـا لم تكن لتجـد غضاضة في صبغه وقصه لانها كانت ـولا تزال ـ تصـبغ شعرها وتقصه .

ولصبغ الشعر قصة فكهة لا بأس بأيرادها هنا :ـ

جاءتني يوما قبل خمس عشـرة سنة ـ وهي عانس مخشوشبة ـ وارتمت على أريكة كنت جالسا عليهـا قبالـة امها الموجودة في كل مكان . ثم وضعت رأسها الكبير عـلى ركبتي وسندت ساقيها العـاريتين الى متكـأ الاريكة الايسر وطفقت تكلمني في غنج ودلال على عادتهـا في مثل هذه المواقف :ـ

١٠١٠١ (عس) ١٠١٠١٠ ! لقد شاب شعري ! فتش في رأسي عن الشعرات البيض واستأصلها بلطف !



فلبيت طلبها من فورى وطفقت افرق شعرها خصلة خصلة ، فانتف الشعرات البيض بين لطف وعنف • ولم تكترث عجوزنا لألم «القلع» لانها ارادت التخلص من الشيب مهما كلفتها العملية من الالم الممض • ولكنني بعد استئصال مئات الشعرات وجدت ابيض الشعر جد كثير قد يربو على اسوده الباقى فى رأسها الفارغ ، فقلت : –

اذا واصلت النتف الى ان آتى على الشعرة البيضاء الاخيرة تمسين قرعاء لان الشيب مجلٍّ فى الحلبة • ثم ان نتش كل الشعر الابيض المتفشى الان فى رأسك قد يستغرق اشهرا ، ومع تمادى عملية «القلع» يزداد الشيب فيبض الشعر كله قبل التخلص من الشمط !

فسألتنى فى انكسار قلب : –

ماذا اعمل وأنا اكره ان أري رأسى يشتعل شيبا ؟

فأجبتها فى تهكم خفي : –

ولم لا تصبغينه ؟

فلم تحر جوابا ونهضت من حضني صامتة • اما امها المعتوهة – التى يستحيل ان يخط الشيب رأسها الاجوف

لاسباب لا تخفى على اللبيب ـ فارسلت حسرة عميقة اردفتها ضحكة خبال ضحلة ••

ولما زرت عجوزنا على عادتى فى مســاء اليـوم التالى وجدت رأسها اسود حالكا كرأس غراب ناعق • فسـألتها مستغربا : ـ

ما هذا ؟

اجابت : ـ

لقد عملت بنصيحتك فصبغت شعرى ! ما رأيك ؟

فقلت : ـ

تشبهين مدام ••••• !

فقطبت عجوزنا وعبست ؟ ولكننى اخذت اخفف من وقع ملحوظتى المؤلم فى نفسها بصقل شعرها بكفى ، وطبعت قبلة حنان وشفقة على جبينها وهو كل الذى كان فيهـا من مسحات الجمال قبل تجعده • ولما رفعت يدى عن رأســها وجدت كفى سوداء ملوثة بذلك الصباغ المنكر كأنـــه من صباغ الاحذية المصنوع من ســخام وشـحم فى الاسواق

المحلية . ولا ادرى حتى الساعة من ذياك الحلاق الخبيث الذى سخم عجوزنا هذا التسخيم القبيح !

واقول استطرادا اننى لقيت عجوزنا فى العيد على قارعة الطريق فقالت معاتبة وهى تريني شعرها : ـ

انظر كيف شاب شعرى من جفائك القاسى !

فقلت : ـ

واعجبنى ! انك لتصبغين شعرك منذ خمس عشـــرة سنة . فهل جفائى يزيل الصباغ ؟ ولم لا يزيل الجفاء الذى تشكين منه «الحمرة» من شفتيك و «الكحل» من عينيك ؟

فصمتت وانصرفت وهى تذوف فى مشيتهـــا مشية « الغربلة » .

رحبت عجوزنا الشمطاء الصبغاء بزي «القص» فـــى باكورة الحصاد ايما ترحيب . وكانت على عادتها فى الرياء والنفاق تسوغ ترحيبها هذا بما فى قص شعر المرأة من تخفيف عناء التمشيط ست كرات او اكثر فى اليوم الواحد . أمـــا الحقيقة التى انطوى عليها ارتياحها الى هذا الزى الجـــديد الطافر فهى انها كما كانت زعراء بشعر احص قصير رأت فى

جز شعرها تخلصا من وصملة فى خلقها وتملصا من مداعباتي الخشنة اللاذعة ، ذلك انها كانت تطلب مني احيانا ان اسرح شعرها لغاية في نفسها لا فى نفس يعقوب لان الداعى ـ فضلا عن كونه سكرتيرها الخاص كان « ماشطتها » ايضا عند الحاجة ـ فكنت اداعبها بقولى :ـ

اين الشعر لامشطه ؟

فكانت تسخط وتثور فتنهال علي بمقذعات السباب والشتائم وكانت احيانا تتناولنى بلطمة شديدة على وجهي تعيد الرشد الى رأسي وتردني الى حدود الادب واللياقة • فكنت اهدى من روعها بالابتسام والاعتذار مع المبادرة الى كيل الثناء الفارغ والمدح المبتذل جزافا منوها بمزايا ليست فيها وامضى ربع ساعة ويزيد فى تمشيطها مازجا ثرثرة لسانى بحركات المشط حين مخاطبتها بقولى :ـ

الله ! ما اطول الشعر واغزره !

والغريب العجيب انها كانت تصدقنى مع اننى لم اكن لاجد شعرا يكفي لثلاث جولات مشط لان الحقل كان ولا يزال مجدبا •

فهذه الغواية النسوية الجديدة ـ قص الشعر ـ سترت عيب القرع فى عجوزنا وفرجت عن كربتها على ما فعله الصبغ فى مشيبها ٠

فى العام الذى جاوزت فيه عجوزنا الشمطاء الصبغاء الخمسين من العمر طرأ على حياتها انقلاب فجائى ، وكانت بادرة ذلك الانقلاب التاريخي عزمها على السفر الى مصايف لبنان تداعى الصحة لانحطاط قواها العقلية والبدنية واختلال توازنها العصبى لانها عصبية المزاج بالارث الى حد «الهستيريا» ٠ وبأعجوبة ربانية نقص عمرها بمقدار ثلثه فى ديوان جوازات السفر اذ لم تتوقف أخت يوشع فى كبد السماء على ما حدث فى عهد يشوع بن نون عليه السلام فحسب بل دارت الارض حول الشمس سبع عشرة دورة الى الوراء تجديدا لشبابها !

وقضية عمرها معضلة المعضلات ٠ ولعجوزنا فى هذا الباب نوادر تضحك الثكلى : فهى تجتنب كل حديث يدور حول اعمار الناس حتى انها صارت الان تخاف من كلمة «عمر» خوف الكلب المكلوب من الماء لانها طالما خرجت قانطة من مجال هذا الحديث ٠

●

كانت قبل نكبتها بالشيب والتجعد والترهل و «الروماتزم» تحسب عمرها وعمر اقاربها واصدقائها ومعارفها وحتى اعمار اهل الحي «بالناقص» لانها اعتقدت ان بتصغيرها اسنان الاغيار تصغر سنها • وكثيرا ما كانت تعسل الحديث بمعسول الشباب فتقول لهذا «انت شاب» ولتلك «انت شابة» • وكانت احيانا تحشر نفسها في زمرة الشبان والشابات فتقول «نحن الشبان والشابات» • وكثيرا ما كانت ترشيني بحذف خمس سنوات على الاقل من عمري لاسكت عن حقيقة عمري وعمرها لانها اكبر مني سنا بما يقارب خمس سنوات • ولكن الشيطان الخناس كان يوسوس في صدري فأبوح بذلك السر فنخرج كلانا من لمجلس « متذابحين » •

ولها طريقة رياضية غريبة في حساب عمرها وعمر ذويها : فلما كان عمرها الحقيقي خمسا وثلاثين سنة كان عمرها على حسابها الخاص ثمانيا وعشرين سنة • ولما بلغت الخمسين ونيفا لم يزد عمرها بعد ست عشرة سنة سوى سبع سنوات لان الارض ابطأت في دورانها على محورها حبا بسواد عينيها فأصبحت ايام السنة الف يوم في تقويم عجوزنا الفلكي •

أما اليوم وقد امست فى الرابعة والخمسين من عمرها الطويل فقد اخذت تحسب سنها بسلسلة حسابية عكسية وذلك انها كلما تقدمت فى الايام والسنين نقص عمرها طردا بالنسبة الى ذلك • فتدعى الان انها بنت الثامنة والعشرين ، بمعنى ان الارض واقفة عن دوريتها فى نظام عجوزنا الشمسى منذ ست وعشرين عاما •• وعلى هذا الحساب لا بد من تناقص عمرها الى ان يبلغ الصفر فتمسى فى الكون وهي ليست فيه••وسيأتى زمن لابد من مرور عشرات وعشرينات السنين قبل ولادتها• ومن غريب ما جرى لها بهذا الصدد انها حسبت يوما عمر اخ لها فكانت نتيجة الحساب ان ذلك الاخ اقتضى له سبع سنوات ونصف سنة لكى تلده أمه • وايضا حسبت مرة عمرها وعمر والدتها وعمر جدتها فظهر بالحساب ان الثلاث ولدتهن امهاتهن فى تاريخ واحد ! ولابد من يوم لعجوزنا يكون شأنها فى الحياة شأن (هى) بطلة رواية (السر رايدر هغرد) الخالدة فتتحول من طور الى اخر ولكنها تظل ابدا «حية» لا تعمر ولا تشيب !

ولعجوزنا ـ كالسنور ـ سبعة اعمار : عمر حقيقى تعرفه

هى د امها وانا ودفتر العماد وسبحانه تعالى الذى خلقها .
وعمر «رسمى» يتبدل فى المواسم التى يطلب فيها اولو الامر اعمار «الموظفين» ، فالذى يراجع اضبارات الدولة يرى عجائب هذا التبدل . وعمر «الاصدقاء» . وعمر «للصديقات» وعمر لايام الشغل عتيق وعمر للاعياد جديد .

ولعجوزنا ايضا صور يرجع عهدها الى ما قبل خمس وثلاثين او اربعين سنة منها صورة مكبرة فى أطار بسيط كانت معروضة فى «صالونها» ولكن تلك الصورة قد اختفت الان عن الانظار لانها تفضح اسرارا هائلة لابد من بقائها فى طي الكتمان .

* * *

عادت عجوزنا الشمطاء الصبغاء من مصيفها فى اوائل الخريف بوجه مطلى بالوان قوس قزح كافة وقد عبث المنتاش بحاجبيها فلم يرحم غير شعرات معدودات منها .

ومع ذكر تزجيجها الحاجبين أقول مستطردا انعجوزنا لا تتقن الصناعة وذلك اولا لان يدها أمارة بالسوء وثانيا لانها حديثة عهد فى الفن ، لذا تجد أجد الحاجبين مقوسا

والاخر منبسطا • وقد اتخذت عجوزنا (جوان كرافورد) قدوة لها في التجمل فتضع دوما صورة تلك الممثلة الحسناء نصب عينيها على المرآة الكبيرة في مخدعها حين قيامهـــا بعملية النتف والنتش والتمويه • غير انني بكل وقاحـــة اقترحت عليها أن تحل رسم (ماري درسلر) محل صورة (جوان كرافورد) لان عجوزنا صنو (درسلر) في الحجم والمنظر والعمر •

أما الاحمر على شفتيها المتصرمتين فقد لوث مالوثه من ثيابي وبعض جوارحي العليا • فأنتقدتها مر الانتقاد • فجاءتني في اليوم التـالي وقالت :ـ

ـ لقد اشتريت اليـوم « لب ثتك » من نوع « كث بروف» •

(وهي تعني بانها قد اشترت « لب ستيك » Iip Stick من نوع «كس پروف» Kiss Proof – أي انها تريد أن تقول انها قد اشترت قلما أحمر لصبغ شفتيها من النـوع الذي لا يؤثر فيه التقبيل • ويرى القارىء أن عجـــوزنا تلثغ في الحرف «س» فتقلبه الى ثاء) •

فقلت :ـ

ـ هذا لا يكون • فلا بد من تأثير الصبغ حين التقبيل •

فقالت باسمة : ـ

ـ جرب تتحقق صدق دعواى •

فقلت :ـ

ـ معاذ الله ! فم أبخر وشفتان ملوثتان • لا ! لا •

وطبعا لم يفت عجوزنا تطويل الاظافر وصبغها ـ الغى الذى لم يتوافق مع ضخامة يديها وكبر براجم اصابعها وانبساط أناملها •• واتفق يوما أنها طلبت منى ـ أو بالاحري أمرتني ـ ان أعينها على نزع جواربها من ساقيها فألفيتها قد صبغت اظافر قدميها الكبيرتين وأطالتها فبدت كمخلب سنور برى • فقلت : ـ

ـ وهل يقتضى الزى الحديث اطالة اظافر القـدمين ايضـا ؟ فقالت :

ـ اعتقد ذلك •

فهززت رأسى آسفا ساخرا وقلت :ـ

ـ ألى هذا الحد بلغ بك خبال التجمل ؟

ولم امهلها لتجادلنى بل تناولت المقص وقلمت تلك الاظافر البشعة •

(واقول لقرائى بين معترضتين ان الفقير اليه تعالى كان فى المواقف الحرجة « ماشطة » عجوزنا فضلا عن كونه سكرتيرها الخاص •)

سألتها وانا امام هذه المشاهد المضحكة المبكية : ـ

ـ ماذا دهاك ؟ هل احترفت الرقص الخليع على مسارح المراقص العامة فى اواخر العمر ؟

فغضبت عجوزنا وقالت : ـ

ـ هذا هو ! هذا لا يعنيك : انا حرة ! انى اجارى النساء العصريات فى الزى • فالمرأة فى المصايف اذا لم تبد صابغة ناتفة شادة فى بعض العرى عيرتها صويحباتها !

فقلت :

ـ ولكنك ـ يا ست الملاح ـ لست فى المصايف الان بل فى المدارس ! ثم لا تنسى ان تبرجك هذا لا يتفق وعمرك •

الا تذكرين يوم كنت - قبل اصطيافك - تعيبين على « المتصنعات » « تصنعهن » وتعدين التبرج تهتكا وخلاعة وقبحا وتحسبين المتبرجات مثلك الان من بنات الهوى ؟ هذا فضلا عن كون نفقات تزيينك وتجملك باهظة تكلفك على اقل تقدير ثلث دخلك في الوقت الذى يسمعك الملأ الاعلى والادنى تصرحين فى كل مجلس بانك رازحة تحت اعباء الديون الثقيلة ؟!

اجابت ممتعضة : -

- هذا هو ! فى جهنم الحمراء ! شأنى شأن باقى النساء • الا يحق لى ما يحق لغيرى من اصلاح التشويه وتمويه القبيح ؟

فقلت ساخرا : -

- لا يصلح العطار ولا الصباغ ولا الحلاق ولاالخيال ما افسده الدهر !

* * *



اضافت عجوزنا الى واجباتى فى خدمتها مهمة اعانتها على شد مشدها الجديد الغالى ثمنه • فكنت اشده بكل ما اوتيت من حيل وقوة واحيانا كنت اسند ركبتى الى ظهرها الاسفل العريض لاستطيع زر المشد العاتى وربطه • ولما كنت احذرها من مغبة هذا الحزام المضايق واضراره كانت تجيبنى بقولها انها انما تستعمل المشد امتثالا لوصية طبيب « حاذق » • ولكن ـ على زعمها ـ ان ذلك الطبيب لم يكن فى المدينة التى تقيم فيها بل على مسافة مئات الاميال بعيدا عنها ! وحتى لم اعرف انا ولا عرف الراسخون فى العلم اسم ذلك « النطاسى البارع » الذى اوصى لها المشد علاجا الذى لم يفد الا النزر اليسير فى تضيق منطقتها الاستوائية ما خلا الامراض المزمنة التى سببها لها الشد والحصر •

فسبحان ذلك الذى له فى خلقه شؤون كثيرة !

* * *



اتفق يوما ان قدم رسول عجوزنا الي يقول :ـ

ـ تطلبك « الست » لامر ضرورى •

فبادرت من فورى الى دارها العامرة وانا لا الوى على شىء • ولما بلغت الدار القوراء قيل لي انها فى مخدعهـــا مع الخياط (لا الخياطة) • فهرعت صاعدا اليها فالفيتها فى انتظارى على احر من الجمر وقد مثل بين يديها خيــاط لا بأس بعمره ومنظره يقدر لها ثوب سهرة مقور الظهـر الى اسفل السافلين • (واقول هنــا ايضا بين معترضتين ان عجوزنا الفاضلة كانت تعتمد على ذوقى فى اختيار الــوان ثيابها وزى ملابسها) • ولما سكن منى ما جاش من جاش السير الحثيث اوعزت الي بأن انتقد فى تفصيل الثــوب من الخطايا ليصلحها الخياط •

فقلت سائلا : ـ

ـ هل انت مدعوة الى حفلة راقصة او ساهرة ؟

اجابت :ـ

ـ كلا • انما اريد خياطة هذا الثوب لالبسه حــين الحاجة لان لا ثوب سهرة عندى •

فقلت : ـ

ـ ولكن الازياء سريعة التبدل كوجوه العوانس • وقد يمضى عام او عامان على الاقل وانت لا تدعين الى سهرة او حفلة « ليلاء » •. فلم هذا الاسراف ؟

اجابت بقولها : ـ

ـ هذا ما اريده وما عليك الا ان تقوم بواجب الفنان النقاد • افهمت قولى ؟

فقلت طائعا خاضعا : ـ

ـ لبيك ، سيدتى ، لبيك ! انا العبد بين يديك !

واول ما لفت نظرى فى الثوب تقديره الذى كشف عن عيوب ظهرها الاحدب المشوه • فقلت : ـ

ـ لا يصلح هذا التقوير لظهرك لان العرى يفضح اولا حدبه ثم حزات الموسى العميقة الطويلة الكثيرة التى فيه •

فوقع كلامى على عجوزنا وقع الصاعقة وقالت مقتنعة فى يأس شديد : ـ

ـ ما العمل وقد تقور الثوب ؟

فقلت : ـ

ـ ضعى قماشاً ابيض رقيقا على التقوير ليسد هــذه الثلمة الكبيرة البشعة ويستر بعض العيب • « وجل من لا عيب فيه وعلا » •

فعملت عجوزنا القانطة بمشورتى واصدرت على الفور اوامرها بذلك الى خياطها الذى واصل تقدير الثوب وانا انتقد وهو يصلح وهى تدور الى ذات اليمين وذات اليسار وتذهب الى المرآة وتنثنى عنها وتستطلع رأيى الى ان امضى الخياط فى التقدير والتصليح وامضيت انا فى النقد والتلميح وامضت هى فى الحركة والغنج ساعة جد طويلة • ثــم انصرف الخياط وبقيت انا •

* * *



كانت عجوزنا قبل هذا التطور الفجائي ترقص الرقص البلدي وتغني اغاني تركية قديمة اتخطر منها اغنية مشهورة

« امـان دقتور ! جانم دقتـــور !

در دمــــه بر چـــاره ! »

وكانت احيانا تغني « طقطوقة » من بدائع نظمهــــا وتلحينها وهي : ـ

« ترا لا لا ! ترا لا لا !

ترا لا لا ! ترا لا لا ! »

واتفق يوما انني كنت ساهرا معها في دارها وكـــانت ساعتئذ لابسة قميص نوم عليه معطف قطيفة سوداء ٠ وكانت ساقاها بلا جوارب وفي قدميها خف صنعته بيدها من حذاء عتيق لامها وذلك انها قصت بيدها الكريمة زوائد الحذاء « الطنبوري » بمقص كبير فاصبح خفا ٠ وانا لكذلك اذا بها تضع اسطوانة «بلو دانوب ڤالس» على الحاكي (الگرامافون) وتومىء الي بان انهض لمراقصتها ٠. ولما رفضت بحجة كوني لا احسن الرقص الحت علي بالنهوض ووعدتني بان تدير

هي نفسها حركاتي • فاستغربت انصرافها فجأة الى الرقص الفرنجي وعهدي بها راقصة بلدية ! ولكنني بعد الحوقلة نهضت اراقصها • فكانت في رقصها الاخرق تهوى علي كأنها خزانة كبيرة تهوى على صدر حمال • وسرعان ما نهك الرقص قواها فجلست على مقعد تلهث لهث بقرة هائجة متعبة استقرت في زريبة • وجلست انا ايضا بجانبها • ولما هدأ فيناجاش الرقص قلت مستفهما : —

— اتصل بي انك تتعلمين الرقص وتمارسينه في سراديب « معلمة الرقص » « فلانة » • فهل الخبر صحيح ؟

اجابت : —

— نعم • ولكنني لما وقفت على اخلاق تلك المرأة الشريرة تركتها مكتفية بما تعلمته • ألم يعجبك رقصي ؟

اجبتها : —

— كيف لا يعجبني رقصك ودونك في الرقص (ايسادورا دنكن) و (انا بافلوفا) و (جوزفين بيكر) و (بدرخان) و (جنجر روجرس) !

فقالت في غنج ودلال : —

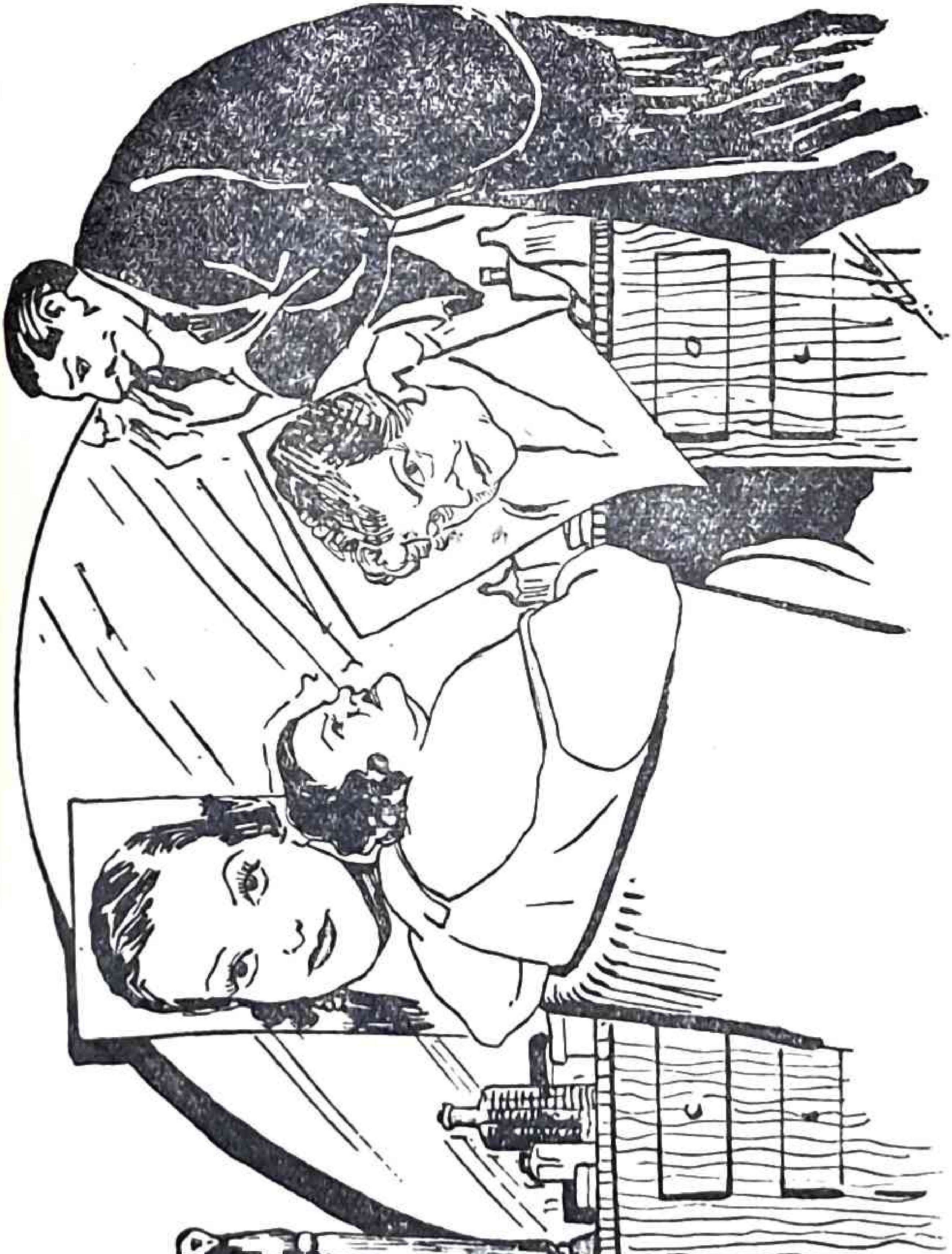
- قل الحقيقة ولا تهزأ بي ٠

فقلت : -

- اما الحقيقة المرة فهي ان البارى تعالى لم يصبك في قالب يصلح للرقص !

فسبتني عجوزنا وشتمتني على عادتها وخرجت الى صحن الدار صاخبة هائجة ٠

* * *

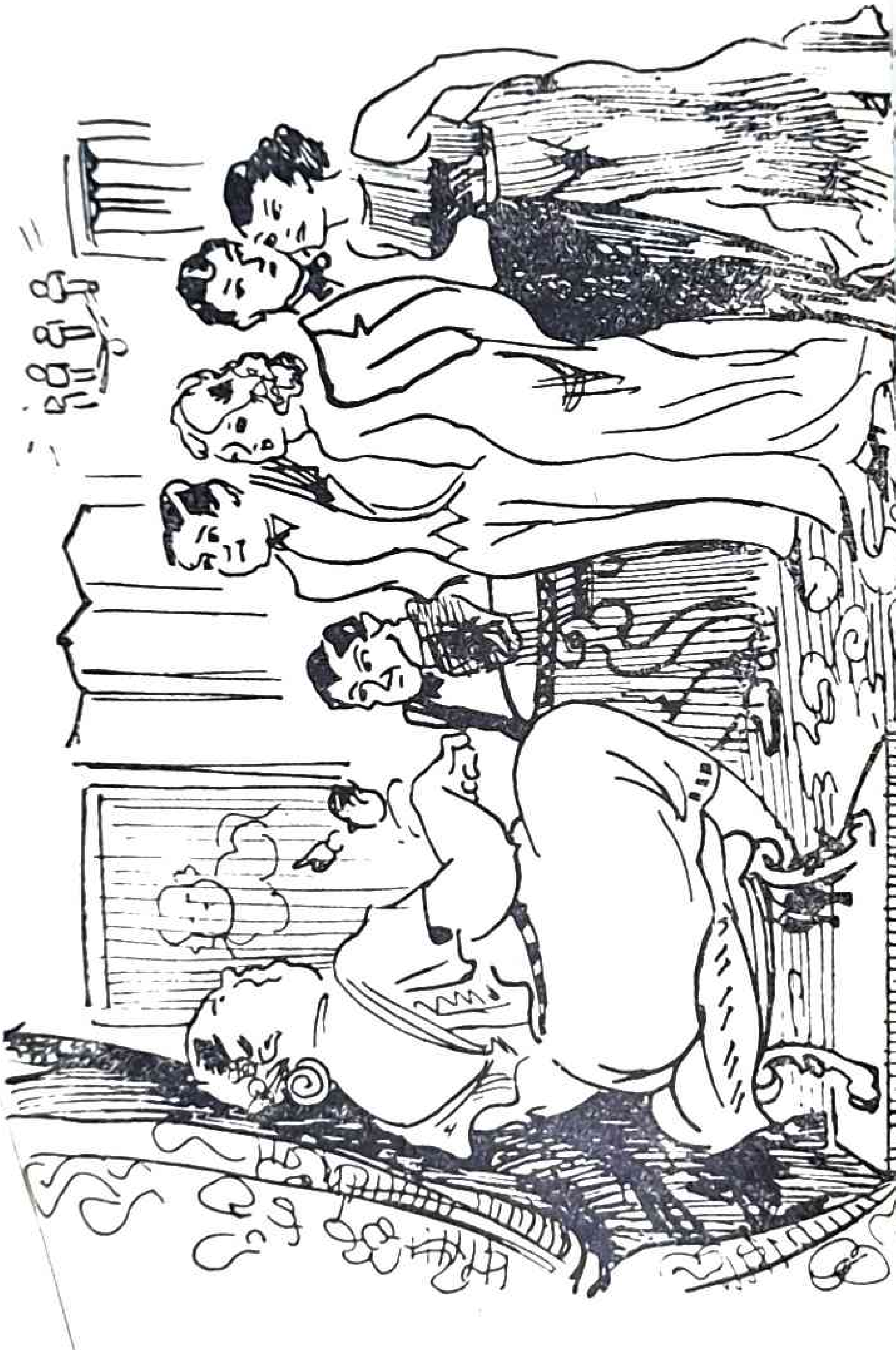


عجوزنا بدينة ضخمة في الجثمان واعضاء جسمها غير متناسبة في مجموعة بنيانها . فما العمل والزى في هذه الايام العصبية زى نحافة القوام ومشق القد ؟

كانت عجوزنا في عهدالحشمة البائد تطلب مني ان آتيها بكتب صحية تبحث في معالجة الاعصاب ومكافحة « الروماتزم » وتخفيف آلام البطن لانها مبتلية بهذه الامراض العضالة .فضعف اعصابها الارثى يسبب لها نوبات « هستيرية » شديدة و « الروماتزم » يجعلها فريسة آلام مبرحة تشلها عن العمل والمغص يفاجئها بنوبات تقضى مضجعها . ولكنها بعد تصابيها في المصايف طلبت مني على حين غرة ان اجلب اليها كتبا تبحث في الرياضة البدنية والحمية « والتنحيف » مع مجلة نسائية انكليزية مشهورة تدعى « المرأة والجمال » لانها عزمت عزما اكيدا على الرياضة والحمية لكى ينحف جسمها ويدق خصرها ويمشق قدها : فقلت حينئذ في سرى : - « سبحان من يغير ولا يتغير ! » ولكنني امتثلت امرها مطواعا فاشتريت لها ما طلبت

من الكتب والمجلات • ومع مطالعتها الكتب ومراعاتهـــا قوانين الحمية استأجرت عجوزنا « راقصة » ـ او بالاحرى « معلمة رقص » ـ معهودة لتدربها على « رياضة » التنحيف والخصر والمشق • فكنت اذا فاجأتها صباحا فى غرفتهـــا ألفاها كأنها فى ثوب سباحة قائمة بالرياضة • والى طوارهذه الرياضة ارتادت سوح (التنس) ـ مع الشبان طبعا ـ واكلت وشربت وفاق منهاج حمية • ولكن ، ويااللاسف ، لم تغن محاولاتها فتيلا لانها ظلت تضخم وتنتفخ وترهل حتى تكيس جسمها وتجبَّب وجهها والظاهر ان شحمها مائع لا يكتنز • اما ما جنته من الحمية والرياضة فمرض مزمن فى المعـــدة قد يكون دملا او سرطانا ومغص خبيث فى الامعاء مـــع اشتداد « العصبية » فيها • فترى عجوزنا تنفق اليوم جانبـا لا يستهان به من مالها « الخاص » على الحقن تحت الجلد ودفع اجور الاطباء لمعالجة اعصابها المعلولة •

* * *



ومن دواعي التصابي في عرف عجوزنا الشمطاء الصبغاء الرهلاء المتصابية ان تعدل عن معاشرة اترابها الكهول والشيوخ الى مصاحبة الاحداث والشبان الذين من عمر احفادها لو تزوجت ومغازلتهم حتى على قوارع الطرق . فهي اليوم تتجول في الشوارع وتزور البيوت مفتشة عن اليوافع والاحداث تدعوهم الى مجالسها وتوصيهم بان يكلموها « بالتلفون » متى ارادوا زيارتها لتوفد اليهم خادمها ليأتي بهم الى دارها العامرة لتناول الشاي في « صالونها » .

ومشهدها في « الصالون » مع الشبان والاحداث من اروع المشاهد : فهي لا تبقي زيادة لمستزيد في « التواليت » . فتتصدر المجلس تصدر « مدام دستايل » وتحدث ضيوفها وتقدم اليهم انواع الكعك والوان « الصندويج » مؤكدة لهم ان ما تقدمه اليهم من مبتدعات دماغها « الجبار » وصنع يديها « النحيفتين » اللتين لا تريدان الضيوف منهما كثيرا . وتجلس بعيدة عن مجالسيها في مقعد منفرد لانها بخراء كريهة رائحة الفم وهذا هو السبب الذي يجعلها تنتقد في مجالسها تقبيل الفم والشفتين انتقادا مرا .

ولمكافحة هذه الرائحة الكريهة نرى دائما حقيبتها ملأى بحبوب (السن سن) فتذيب فى فيها الواسع الآسن ما يربو على مائة وخمسين حبة (سن سن) فى سهرة واحدة ! واذا تحدثت الى السامعين صرمت شفتيها تصغيرا لفمها الكبير وتضييقا لشدقيها الواسعين ولا يلقاها انسان تبتسم ابتسامة حقيقية او تضحك ضحكة صاعدة من قرارة صدرها الضخم لان كل الذى فيها تصنع فى تصنع حتى فى البكاء والنحيب .

وتحاول عجوزنا فى مجلسها ترتيب ثوبها الفينة بعد الاخرى لتكشف عن جواربها « الغى » الجديدة ورسغى ساقيها المخصورتين وبعض ما فوق الركبة من الغلظ وتود لو استطاعت ستر القدمين الكبيرتين .

ومن جملة حديث شرطائنا فى « صالونها » تناول موضوعات جغرافية سياسية فتهرف فيها بما لا تعرف . واتخطر جيدا انها تحدثت الى سامعيها يوما عما طالعته عن « ملك البلقان ! » لانها تراث « بلقان » بدلا من « بلجكة »

تحت صورة لملك بلجكة منشورة فى مجلة انكليزيـــة ، والغريب ان حضرة مخترعة ملك البلقان كانت مدرســـة الجغرافية يومئذ !

وقد تحشر نفسها احيانا بين الباحثين فى الفنـــون الرفيعة والادب العالى . فتخلط بين صورتى (ليـــدى هملتن) و (مسز سدنس) وتصر على ان مصور (الجوكندة) هو (روفائيل) بعينه لا غيره . وتعرف (مدام بترفلاى) الى (بتهوفن) وهى لا تعرف اسما لموسيقار آخر . فكل قطعة موسيقية فرنجية من (فيتار دامور) الى (برسيفالس) الفها (بتهوفن) . اما فى الادب افليس (مونتو كريستو) هـــو الذى ألف قصة (شكسبير) ؟

وترى عجوزنا (فى احاديثها الطلية طبعا) حطة فى قدر السيد او السيدة ان يزور السيد او تزور السيـــدة معرض باريس ! والسبب لان حضرتهـا لا تتمكن من تلك الزيارة .

اما رأس الشبان والاحداث في عجوزنا المتصابية فلا اعرفه ٠

وهكذا قضت عجوزنا المتصابية اوقاتها مسرفة في التحايل على الزمن ومحاولة ايقاف عربة الزمن وقداهملت عجوزي وتركتها مدة طويلة وسمعت فيما بعد انها رحلت الى بلد لم اعرف ولم احاول السؤال عنه وارجو لها الرحمة ان كانت في عداد الاموات والخير والعطف ان كانت من الاحياء ولله في خلقه شؤون ٠

عبدالمسيح وزير
بغداد

القصة الثانية

الصنم المحطم

قصة الصنم المحطم

كتبها المرحوم عبدالمسيح وزير ولم تتح له الفرصة نشرها وقد هيأها للطبع ولكـــن الظروف حالت دون ذلك نقدمها للقراء ولابد ان يلمس كل قارىء فطن انها فريـدة في بابهـا .... لم ينح الادباء والقصاص هـــذا المنحى الفكـه الطريف وعسى ان تنال الاستحسان .

اينس وزير

الصنم المحطم (*)

في عهد ميلادي قبل سبعة عشر سنة زارني صديقي نحات الاصنام في شعره الاشعث وثوبه الفضفاض .

تناول صديقي نحات الاصنام يـــدي بيده الخفيفـة اللبقة فصافحني ثم قبل جبيني وهمس في أذني قائلا :ـ لك علي حق الهدية في عيد مولدك ، فأطلب مني ، ايهـــا الصديق العزيز ، ما شئت فأقدمه اليك جذلا مغتبطا . قل، ماذا تريد ؟

فأجبت صديقي نحات الاصنام محدقا الى وجهـــه الصبوح الباش :

انت نحات اصنام بارع فأنحت لي تمثالها صنما اعبده .

بهت صديقي نحات الاصنام لهذا الطلب الباغت الذي لم يتوقعه مني ، وغمرني بعواطف مهتاجـة ويـــده المسنة ترتجف بعروقها النائتة في يدي القوية الحارة . ثم أفلت مني مبتعدا عني قيد خطوتين مذعورا وقد اخذت صـــورة الخوف والقلق مأخذها كله منه .

(*) تليت في نادي القلم العراقي مساء يوم الجمعـــة ٦ ايار ١٩٣٨

وبعد ان هدأ بعض روع صديقى نحات الاصنام رمقنى بنظرة نقادة حادة في صمت وتفكير كأنه ينقض ملامح وجهى ليجسمها فى تمثال ينحته لي . ثم خرج من وجومه وطفق يسألنى فى حيرة شديدة :

اين صنم معبودتك الذى نحته لك قبل عشرة اعوام؟ اين تلك الآية الفنية الجميلة التى افرغت فى ابداعها لك خلاصة نبوغي ؟ الا تعلم ان (هيرة) [1] المختارة الرزينة تصب جلمات غضبها على كل عابد يفقد صنم معبودته وتنتقم من كل نحات اصنام ينحت صنمين لبنت واحدة من بناتها فيعطيهما رجلا واحدا ؟ .

ثم عاد صديقى نحات الاصنام الى ثورة غضبه مواصلا اسئلته المتواترة قائلا : ـ

أين صنمها ؟ ماذا فعلت به ؟ قل ، أين الصنم الذى نحته لك قبل عشرة اعوام ؟ ويحك يا هذا ، أين ذلك الصنم الجميل ؟ .

---

(١) ربة الزيجة وحامية الزوجات عند الاغريق القدماء وهى (يونو) عند الرومان القدماء .

اما انا فلم تحرك ثورة الصديق الفنان ساكنا في نفسي ولا اخافني وعيده فلم اكترث لتأنيبه ، بل اجبته جامد العين في تحديق موارب الى ذات اليسار وقد سندت رأسي الى يمناي أفكر في أمري وامر صديقي نحات الاصنام ناظرا الى لا شيء .

لقد حطمت ذلك الصنم من زمن ونثرت ذراته في ريح عاصفة ، مستعينا ببنت من بنات (اشتار) [1] لقيتها على مشرح الهيكل العظيم في ابان أنتظارها عابر سبيل يقطع خيطها فصرخ صديقي نحات الاصنام متوعدا :

ويل لك : اتجرأ على تحطيم ذلك الصنم المقدس ؟ اتجعل صنم بنت (هيرة) هباء منثورا ؟ الا تخاف سخط الربة العفيفة حامية العقود المقدسة فتحسب حسابك لغضبها ؟ أتستبدل بنت (اشتار) ببنت (هيرة) ويحك : ماذا دهاك ؟ .

---

(١) الهة الجمال والعشق والخلاعة عند البابليين وهي (افروديت) عند الاغريق القدماء و (فينس) عند الرومان و (عشتروت) عند الفينيقيين و (الزهرة) و (اللات) عند العرب .

فصولجان الملك اليوم بيد (اشتار) وسيف القوة بيمين بناتها مصلت فوق الرؤوس والمجد والعبادة فى هياكل (أفروديت) فى كل مكان • ونصيحتى الهامسة فى أذنيك ان لا تنوه بذكر (هيرة) المغلوبة على الارض من تحت ولا نرجو عون (يونو) من (الاولمب) من فوق • أوعيت ما افضيت به اليك ايها الصديق العزيز النائم نوم أهل الكهف عن حوادث الدهر وتقلبات الايام ؟ فحذرا ان تضرب مطرقة على ازميل فى رخام تمثل فيه بنتا من بنات (هيرة) • فأنحت لى الان تمثال بنت (اشتار) صنما اعبده ولا حرج عليك وعلى •

نصت لي صديقى نحات الاصنام مستمعا لحديثي الخطير بوعيه كله • وكنت وانا اقص عليه قصة الحادث الجلل ناعيا الربة الطاهرة فى السماء وبناتها العفيفات على الارض ـ اشهد شفافة اللون تتضاءل فى وجهه الوسيم الى ان بات فى شحوب الاموات من فرط الفزع والكمد اشفاقا على مصيرى الفاجع واتسعت عيناه النجلاوان اللتان زاد الخوف مقلتيهما جحوظا وزاد الشحوب حدقتيهما سوادا •

مهلا : ايها الصديق الغاضب اللائم : هـدى الروع عنك وأعرني اذنا صاغية لاروى لك ما يسرى عنك الخوف والقلق المستولين عليك الان : فأعلم انه يوم تطاحن ابنـاء الناس وبناتهم فى حرب ضروس على الارض كانت رحـى القتال تدور على قمة (الاولمب)[٢] وذروة (جبيل)[٣] بـين الارباب والربات . واخيراً انقشعت قساطل تلـك الحرب العوان عن خروج (افروديت) وبناتها من المعمعان ظافرات ظفرا مبينا بعد ان سحقن (هيرة) وبناتها سحقا أكيــدا . فدالت دولة (هيرة) فى اعالى (الاولمب) واسـتوت (عشتروت)[٤] الغالبة على العرش فى ملكوت (جبيـل) .

---

(٢) جبل فى بلاد الاغريق وقمته مقر الهتهم الخرافية .

(٣) قمة جبل فى لبنان وهذه القمة مقر آلهة الفينيقيـين ورباتهم مثل آدونس وعشتروت .

(٤) كانت العذراء فى عهـد البابليين وغيرهم من الامـم القديمة تربط خيطا حول عنقها او خصرها وتذهب الى الهيكل وتجلس انتظارا لعابر سبيل يدفع مبلغا من المال الى البنت فتقدم ما اخذته الى الهيكل فيقطـع الرجل الخيط بفض بكارتها فتعود الى اهلهـا ثم تتزوج . فاذا كانت البنت قبيحة المنظر تظل مـدة سنين منتظرة فى صحن الهيكل لعابر سبيل يقطـع خيطها اما الجميلة فكانت تعود الى اهلها بعد ساعات .

وبعد ذهول فوق رأسي دام بضع دقائق اطرق صديقي نحات الاصنام غاضبا فى لجـــة يأسه وهو يدعم ذقنه بكلتا كفيه المقبوضتين •، ثم انفجر من صدره الوسيع العميـــق حسرات حرار فرجت عن بعض غمته واثابت رشـــده الى الموقف الراهن • فحدجنى بنظرة شرسة قلبت خوفـه الى غضب واساه الى انتقام • ودفعت ثورته النفسية الدم الفائر الى وجنتيه البارزتين فى تحول جسمه • اما انا فكنت ارقب انقلابه الفجائى جامدا امامه جمود اصنامه •

بعد صمت طويل حل صديقى نحات الاصنام عقـــدة لسانه واندفع يتكلم فى جرأة نادرة لم اعهدها فيه :

كلا ايها الصديق الغاشم المخدوع بسراب الظواهر ! لا اعمل بنصيحتك الآثمة ولا تهيب بي الفاجعة الدامية الى النزول عند ايعازك ، اتريدنى على ان اذل ذلك فى عين نفسى وعين (منرفا) فاشوه محاسن فني الجميل بنحت صنم لبنت (اشتار العاهرة ؟ اتغريني بالاسفاف الى عبادة (افروديت) فأهوى الى عالم (فينس)[1] السفلى لـــكي ادنس عرضى

(١) ربة الجمال والعشق والخلاعة • انظر الحاشـية السابقة •

برجسها ؟ اتريدنى ان احرق بخور الخلاعة فى محراب (اللات)[1] وانشد مع المتهتكين والمتهتكات اناشيد الفحشاء فى ولائم (باخوس)[2] . انا الفنان العظيم الذى طبقت شهرته آفاق الشرق والغرب واوقد الناس شموعهم لاصنامه المنصوبة فى هياكل (هيرة) و (يونو)[3] وذبح الحجاج الذبائح لمنحوتاته فى اقداس (اثينا)[4] و (منرفا)[5] يريدنى شاب اسرته شهوة مشاعة ان اسخر نبوغى لربات الشر وقينات الرذيلة ، الا فأعلم - ايها الصديق الفاقد فردوسه الفاضل - اننى لا احنى ولن احنى ركبتى لربتك الجديدة .

قال صديقى نحات الاصنام قوله الجازم هذا وانتفض من مجلسه انتفاضة عنيفة هاما بالانصراف . فاستمهلته هنيهة لافضى اليه بما بقى عندى من الكلام لعلى اقنعه بحجة اخرى ادلي بها اليه . ولكنه نهض يخطو في غرفتى الضيقة

---

(٢) اله الخمر والخلاعة عند الاغريق القدماء .
(٣) ربة الزيجة وحامية الزوجات .
(٤) ربة الحكمة عند الاغريق .
(٥) ربة الحكمة عند الرومان .

خطوات واسعة وكلانا واجم لا ينبس ببنت شفة • فكنت انا ارقب حركاته في ارتباك وخيبة امل • اما هو فلم يحول الي لمحة واحدة من نظراته بل ظل يخطو مطرقا جيئة وذهابـا ويداه معقودتان على ظهره •

واخيرا خاطبته قائلا : ـ

ـ اعيد ـ ايها الصديق الصادق ـ ما قلته لك قبل بضع دقائق من انك في غفلة انصرافك الى صناعتك الرفيعة وفنائك في فنك الجميل لم تشعر بالثورة العظمى التي قلبت كل ما في السماء والارض رأسا على عقب فلا تدري الآن ان الدنيا اليوم غير دنياك في الامس لانك لا تزال في العالم الذي الفته ، وقد بلغ بك العمر حدا وقفت عنده فلا تريد مجاوزته لمجـاراة الزمن الذي نحن فيه في عبادتهم ، وترغب عن السير في قافلة ابناء هذا الجيل وبناته في مناهجهم • واقل الذي اريده منك ان تعلم انه كما ان لكل دولة رجالا ونساء على الارض كذلك لكل زمن ارباب وربات في العلاء • كنت في عهـد (هيرة) منصرفا انصرافك كله الى عبادتها ، اما اليـوم ، و (اشتار) صاحبة السلطان في الملكوت الجديد، أفليس من

الحمق ان اظل متمسكا بعبادة ربة حذف سكان (جبيـل) اسمها فى سجل الربات ؟ الا ترى هياكل (يونو) مقفرة هجرها الكهنة والعبدة الى هياكل (فينس) ؟ فتش عن كهنة (هيرة) وكاهناتها ، فاذا عثرت على كاهن او كاهنة منهم صحبتك الى العبادة فى هيكل ربتك القديمة . ويحـك ، اتعبد بلا كاهن ؟ الا اسمعنى اسرد لك ما يقوله كهنة (اشتار) المقربين الذين خبروا الناس وآلهتهم : يقول هؤلاء الاساطين العالمون بظواهر الامور وبواطنها ان الفضيلة والرذيلة مقاييس ادبية نسبية تتبدل مع تبدل احوال الناس على تتالى الاجيال والعصور . كانت السرقة خلة محمودة فى فتيان اسبرطة اما اليوم فهى جريمة مذمومة فى اولئـك الفتيان انفسهم . كان الناس الى عهد قريب يهللون لنقاب (هيمـــن)[1] المقدس ويسيرون على ضوء مشعله ، اما اليوم فقد مزق البشر ذلك النقاب الجميل واطفأوا تلك الشعلة المنيرة . ألم يعبـــد

(١) رب الزواج ورمز الى البكارة كان يمثل فتى يحمل نقابا ومشعلا .

الفلسطينيون دهرا الرب (مولوك)[٢] بتضحية فلذات اكبادهم قربانا لجشعه ، ثم انقلبوا عنه الى عبادة (البعل)[٣] ذلك الرب المتحول ، وعن البعل انقلبوا الى عبادة (يهوه)[٤] ؟

وهنا امسكت عن الكلام لاتحقق وقع ما قلته فى نفس صديقي نحات الاصنام الذى كان آنئذ واقفا امامى فى مشبق قده ونحافة بنيانه، ينصت لحديثي بقوته السامعة الواعية كلها. ثم جلس على المقعد قبالتى ورد يقرع حجتى بحجته : ـ

ايها الشاب الغر الخابط فى تيه شهواته والمخـــدوع بمموهات كهنة (اشتار) الذين خروا لآلهة الاطماع سجدا. اراك تسوغ ضعفك الاخلاقى بادلة واهية ـ فأعلم ان التبدل ولا ريب فى العرض لا فى الجوهر . فالفضيلة المطلقة فضيلة فى كل مكان وزمان والرذيلة المطلقة رذيلة فى كل اين وآن.

---

(٢) اله مخوف جشع عبده العمونيون فى فلسطين قديما وكان الناس يضحون اولادهم له بالقائهم فى الاتـــون المتقد فى جوفه .

(٣) اله تغير الفصول والنماء عند الفينيقيين وغيرهـــم وهو (ادونس) .

(٤) اله العمرانيين .

والربة (هيرة) رمز الي جوهر الفضيلة في ناحية معينة اما الالهة (اشتار) فرمز الى الرذيلة المطلقة في عنصرها المعلوم. ودولة (هيرة) لا تزال قائمة يعيش في بحبوحتها اولئك الذين يريدون الخير من اجل الخير وحده وهياكلها لا تزال مفتوحة الابواب يلجها النساك والعباد الذين لا تستهويهم الشهوات المنكرة . فالذى يعيش في الا يرى الاشياء بصورها الحقيقية اما العائشون في النور فيبصرون . وانت ايها الصديق المخدوع فقد ضربت شهوة الجسد غشاوة كثيفة على عينيك فلا تبصر مما في كونك غير الشهوة الدنيئة في اثمها المزوق .. واذا كنت حقا تفتش عن كاهن من كهنة (هيرة) فانا ذلك الكاهن . اتبعنى الى هيكلها ان كنت من الصادقين . اتبعنى فأريك هناك ان الفضيلة لا تزال فضيلة . منذ آلاف السنين يقدس الناس الصدق والاستقامة والبطولة فهل تعد هذه العناصر الادبية رذيلة ؟ اتبدل مقياس الوفاء والاخلاص حتى بات الغدر والخيانة عنصرى فضيلة في ايمانك ؟ ثب الى رشدك وثب الى وجدانك تجد النصر حليف (هيرة) في الحرب التى اسهبت بعض اسهابك في

وصفها لى • واعلم العلم اليقين انني فى غمرة فنى لم يغمض لي جفن عن حوادث الكون العلوى والسفلي وقد تتبعت سير المعارك الفاصلة بين (هيرة) و (اشتار) ولكن ان علمت شيئا فقد فاتك اشياء • فالنصر حليف ربة العفاف ـ اذا فهمت معنى العفاف ـ وما ضجة (عشتروت) وبناتها سوى جرأة مستمدة من سكرة الخلاعة التى يعقبها انخدال مريع عند الصحو • فالفوز حليف ربتى التى تدعوها قديمة والتي ادعوها انا خالدة ابدية •• افهمت ايها التلميذ الذى اصبح بغمزة عين وشهوة ابتسامة معلما ؟ •

افحمنى صديقى نحات الاصنام فقلت فى سرى «هذه حجة دامغة» • وقلت فى علنى على مسمع من صديقى نحات الأصنام «اراء جوفاء منطوية على غث المنطق ورثه» • اما الان فلم يبق لى غير الضرب على الوتر الحساس فى نفس صديقى نحات الاصنام وذلك الوتر فنه وصناعته •• فقلت مستجمعا قواى كافة فى الحملة عليه : ـ

ـ أنك : ايها الصديق النابغة : فنان عظيم صاحب صناعة رفيعة • وفنك الجميل لمجتمعك والهته لا لك وحدك:

وصناعتك الرفيعة للارباب والناس كافة على السواء • فليس لك بحكم الهبة الربانية ان تقصر مواهبك على فئة دون اخرى ولا ان تحصرها فى ناحية واحدة مستثنيا غيرها • ولست حرا فى توزيع بضاعتك النفيسة لتفرق بين هذا وذاك : ولا يحق لك ان تميز هذه عن تلك فى نتاج نبوغك • وهذا (المشترى) [1] رب الارباب فقد خلق الصالحين والطالحين من سكان السماء والارض وحبا كلا منهم قسطه من المواهب والقوى بلا تفريق ولا تمييز فلو شاء ربك لما فسح موطىء قدم لطالح فى الكون • او ليس (المشترى) الفنان الاعظم ونبوغك مستمد منه ؟ لا حاجة الى القول لرجل مثلك ان جمال الفن منحصر فى التعبير عن اسرار خفية فى الكون العاقل والكون غير العاقل لا يدركها غير الفنان المستنير بشعلة (ابلون) [2] المقدسة فيعبر عنها تعبيرا أمينا • فالفنان العظيم قد يهتك حجابا كثيفا عن عناصر

---

(١) رب الارباب عند قدماء العرب وهو (زفس) عند الاغريق و (جوبتر) عند الرومان •

(٢) اله الفنون وهو (الشمس) وكان يسميه البابليون القدماء (شنيش) •

الكائنات الخفيات فيكشف لنا - نحن عامة الناس - عن جمال فى حشرة دنيئة تبدو لنا اول وهلة فى سفلى دركات الانحطاط والقبح على ما فعله فنانو الفراعنة الذين حملوا المصريين على تقديس الجعارين (الجعلان) [٣] او انه قد يجسم لنا معانى خير او شر نشهدها بالعين ونلمسها باليد شأن فنانى الاغريق . او لم ينحت سلفك (فيدياس) [٤] العظيم عابد (هيرة) الصميم تماثيل (افروديت) ؟ او لم ينحت فنانو الهند عبدة (بوذا) [٥] تماثيل (كالى) [٦] ؟ كل هذا جميل فى الفن الحقيقى وفى نظر الفنان الامين . ولا ريب عندى فى ان هذه الحقيقة غير خافية على فنان نابغة مثلك : ايها الصديق . وكل فنان يحصر صناعته السامية في جهة معينة جامد فى فنه فيعبر عن شىء واحد وتفوته اشياء كثيرة . فكن امينا لفنك ووفيا لرب الهبة وانحت تماثيل بنات (اشتار)

---

(٣) ضرب من الخنافس القذرة الدنيئة تعيش فى المزابل والمراحيض .

(٤) نحات اغريقى مشهور .

(٥) اله الهنود المعبود .

(٦) ربة الموت والقتل والدماء عند الهنود .

نحتك اصنام بنات (هيرة) .. فانحت لى الان تمثالها صنما اعبده .

نتر صديقى نحات الاصنام رأسه من رقبته الطويلة في لفتة سريعة الي من اطراقه وقد اثارت اقوالى فى نفسه الغنية الشديدة وقال بفصاحة وتؤدة :

ـ سأنحت لك تمثالها صنما تعبده . ولكننى سأنتقم في نحتى هذا التمثال للربة (هيرة) وبناتها من الغاويه (اشتار) وبناتها . أرنى صورتها او ادعها الي !

غلب على السرور الفارط اذ سمعت صديقى نحات الاصنام يجيب طلبى . فبادرت الى درج اخرجت منه صورتها الشمسية . وبعد ان تأملتها لحظات خاطفات وقبلتها قبلات لطيفات ناولته اياها . فأخذها صديقي الفنان وطفق يتأملها تأمل ناقد خبير . ثم رفع بصره الى وقال ساخرا :

ـ ويحك يا غبى : هذه كاهنة لا مبتدئة . لقد جاوزت معبودتك دور التجربة فى هياكل (اشتار) من زمن قضى . وخبرت ستى ضروب الخلاعة وانواع الفحشاء فى ممارسة فروض (افروديت) الرجسات فى صوامع الهياكل وعلى

قوارع الطرق . قلت لي قبل هنيهة انك لقيتها على مدرج الهيكل العظيم يحيط لم يمسه رجل : اما عيني فتراها الان عاهرة تقلبت في احضان كثيرة وقد عصر عابروا سبيلها خلاصة روحها فذهب رواها وذوت نضارتها وشاب رأسها والان تأتيك بالثمالة القذرة الباقية في كأس الاثم لتجرعها سما زعافا يميت عاطفتك السامية ويدنس عرضك النقي : انظر الى متحفها في الصورة التي رسمتها يد (ابلون)[1] الخفية رسما امينا دقيقا ينم على ما فيها من خبث ورياء وغدر وخداع . حذرا : ايها الصديق العزيز : حذرا من بنت (اشتار) وشرها :

اجبت صديقي نحات الاصنام مصرا على طلبي منه :ـ

ليس الرسم كالحقيقة . دعني ادعوها اليك الان ترها في حقيقتها غير ما هي عليه في رسمها لان الصورة تخدع .

ـ ادعهـــا

ـ زهرة : حبيبتي : تعالى :

---

(١) الشمس .

وقبل دخول بنت (اشتار) الغرفة سألني صديقي نحات الاصنام قائلا :

ـ ما الاسم الذي دعوتها به ؟

ـ زهرة : اليست بنت (فينس) وهذا الاسم سمة بنات تلك الربة الجميلة ؟

ـ ولم لا تقول ايضا «والخليعة» •

ـ هذا في عرفك : اما عندي فالربة (فينس) جميلة فقط في بناتها •

دخلت (زهرة) في بساطة المظهر والملبس فصبحت مبتسمة ابتسامة رقيقة • فعرفتها الى صديقي نحات الاصنام الذي اخذ فور وقوع نظره عليها ينفض سيماء وجهها ويتفقد جوارحها في انصباب كلي : فشغله اهتمامه بها عن رد التحية والمصافحة • اما هي فظلت ماثلة امامنا في رزانة ولطف ظاهرين وفي امتعاض وغيظ مكظومين • ثم حادثها صديقي الفنان محادثة لم يطل امدها استشفافا لنفسها بالصوت والكلام • وبعد الحديث القصير انصرفت زهرة الى شأنها • ولما توارت

عنا هز صديقى نحات الاصنام رأسه هزات أسف واندفع يخاطبنى فى جد وحماس كمن يتوقع كارثة داهمة .

ويل لك فى مصيرك الفاجع مع هذه الحية الرقطاء فى ملامسها اللينة : تبا لك من غافل مخدوع وقع فريسة خيدع غادرة : لقد لقيت فى روحاتى وجيئاتى ما لا يحصى من بنات (اشتار) فى زوايا الهياكل ومنعطفات الطرق ولكننى اقسم لك بكل مقدس عندى ان عينى الباصرة النقادة لم تنظر قط كاهنة عالمسفلى على غرار (زهرتك): الا فأعلم انها بنت (كالى) وكاهنة (مولوك) : على جبينها سمة ابليس ومن عينيها يتطاير شرر الاثم : فى فمها كلمة الموت وأذناها زكر النميمة فى يمناها معول الدمار الهدام وفي يسراها حسام الفتك الذريع : اما قدماها فألى هاوية الشر مسعاهما ابدا : الا ترحم شبابك اللامع وتشفق على ذويك الابرياء فتملص من اسر هذه السعلاة الخبيثة ؟ أسمعنى وافعل :

فقلت :

ـ هذه صور بشعة من مبتدعات خيالك الواسع وخيال

الفنان مشوب ابدا بالمبالغة والمغالاة • فبر بوعدك وانحت لى تمثالها صنما اعبده •

- صورى صور حقيقية للذى فى نفس معبودتك من عناصر الشر سطرتها طبائعها الخفية على صفائح طلعتها ونقشتها سريرتها الجهنمية فى معالم جوارحها • اما اننى وعدتك تمثالها فسأبر جزما بوعدى الا اننى سأنتقم فى نتاج صناعتى للفاضلة (هيرة) وبناتها العفيفات • عما قريب تجد التمثال منتصبا امامك على المنضدة •

ثم تهاون صديقى نحات الاصنام وعلى ظهره حمل هم ثقيل ولم اسمع من كلام الوداع غير قوله :

- أسفى على شباب يضيع :

بعد انصراف صديقى نحات الاصنام استولت على نوبة تفكير عميق فيما سمعته من اقواله التى املاها على اخلاصه وايمانه • فلم اشعر بأتسلال (زهرة) الى غرفتى الا لما احسست بوقع يدها على عاتقي وحرارة شفتيها على خدى اذ سألتنى بلهجة عذبة فيها كل الذى عندها من رقة عاطفة وحنان فقالت :

ـ فيما تفكر ايها الحبيب ؟

ـ افكر في حديث جرى بيني وبين صديقي نحات الاصنام دار حولك •

ـ لم ترقني نظرات صديقك الكهل الا انني مأخوذة بفنه ، معجبة بشهرته • قل ، هل وعدك بنحت تمثالي ؟

ـ لقد وعدني وعدا جازما وعما قريب يأتيني بتمثالك الجميل •

تلقت (زهرة) هذه البشارة بفرط السرور وارتمت في حضني مطوقة عنقي بذراعيها وانشأت تلتهم شفتي تقبيلا بفمها الملتهب بنار الشهوة • فنفضت عني افكاري الغالية ونسيت صديقي نحات الاصنام وتماثيله وفلسفته ولم افكر بعد ذلك في غير (زهرة) ولم اشعر بغير جمرات تقبيلها اللذيذ ونفسها الحار •

بعد ايام رجعت في ذات مساء الى غرفتي واذا بصنم بنت (اشتار) منتصبا امامي في بحبوحة مجده الفني وقوة جماله الشهواني : الرأس كبير خفيف الشعر والطلعة مستديرة بجبين ضيق طويل ووجنتين بارزتين مع امتلاء

الخدين ، والعينان ناظرتان شزرا الى ذات اليسار احداهما تهم بغمزة مغرية ، والانف اخنس كأنه يشتم رائحة الطريدة والفم كبير بشفتين ممتلئتين ملتهبتين بلظى شهوة محتقنة فى داخلها . والعنق غليظ فى قصر والصدر تحته واسع . والثديان كبيران متهدلان واليد اليمنى على ايسرهما واليسرة على البطن ابهامها يشير الى السرة ،والجسم اسطوانى فى استدارة زائدة وبدانة ظاهرة بميلان طفيف الى اليسار وحدب الى الامام مما جعل خصر الجذع على الردفين الثقيلين جد بارز فى الجانب الواحد . والاطراف سمراء مستديرة فى غلظ ومخصورة الارساغ ، واليدان والقدمان فارطة الحجوم .

وقفت وقفة عابد خاشع امام صنم معبودتى اقرأ فى جوارحه آيات الشهوة السفلى . وجاءت (زهرة) فوقفت بجانبى وفى لحظة خلعت ثوبها وانتصبت عارية امام التمثال تنظر اليه والى صورة جسمها المنعكسة عن مرآة كبيرة امامها فأعجبت بشدة الشبه بين الصنم والحقيقة .. ثم قبلتنى وانصرفت فى ثوبها الشفاف الى مخدعها .

خمس عشرة سنة ظل صنمي امامي قبلة مقدسة أؤدي في محرابه فروض (اشتار) . وكلما امعنت في تعبده اشتد انجذابي اليه حتى ملك قيادي وعزلني عن العالم فأعماني عن رؤية كل شيء آخر غيره واخرسني عن النطق بسوى الحمد له واقعدني عن السعي الى غير مصلحته . ففنيت في الصنم واعتقدت اعتقادا اكيدا ان صاحبته فانية في فنائي فيها .

اما صديقي نحات الاصنام فانقطع عن زيارتي منصرفا الى فنه الجميل وانقطعت عن زيارته منهمكا في عبادة صنمي . فلم اسمع عن صديقي الفنان خبرا ولكنني علمت فيما بعد انه لم يكن ينفك عن تسقط اخباري مع (زهرة) وتمثالها سرا .

× × ×

ومع امعاني في عبادة صنمي الجديد بعدت الشقة بيني وبين الآل والاصحاب ولم يجرؤ قريب ولا جرؤ بعيد على التفوه في مسمعي بكلمة سوء طعنا في ماضي صاحبة الصنم المعبود وحاضرها : فقد حاول بعضهم يوما ان يتلو علي في

خلوة نبذا مقتبسة مما دونه كهنة (شمس)[1] الصادقين من صفحات سيرتها السوداء فى سجلات هياكل الرب العظيم فلم ينل ذلك البعض مني غير الهوان والنقمة •

بعد حقبة هناء واطمئنان طويلة مع بنت (اشتار) اخذ الناس يتهامسون حولي فى ريبة اثارها سلوك (زهرة) الشائن : فروى رقباء الحى انهم شاهدوها تنسل من الدار خلسة فى جلباب الظلام الى سراديب (فينس) ومآدب (باخوس) • وقال حراس الهياكل انهم لمحوها واقفة على مدرج (كالى) لتؤدى فريضة الدم بعد خروجها من هيكل (اقطى)[2] حيث وفت نذورها سرا • فكذبت رواية الرقباء وسفهت قول الحراس • فأسف هؤلاء الامناء لغفلتى وارتاحت بنت (اشتار) فى سرها الى سذاجتى • وظلت عقارب الغيرة كامنة فى صدرى الى ان شهدت (زهرة) فى هزيع ليلة تدخل الدار مصحوبة بعابر سبيل

---

(١) اله البابليين العظيم وهو الشمس •

(٢) الهة هندية عبدها الهنود ولاسيما نساؤهم اللواتى كن يعبدنها فى عزلة عن الرجال •

في زي آس تحاول اغراءه بخيط مستعار يطوق عنقها .
فثارت أطم الغيرة الكامنة بين جنبي ولم ابق في اجوام اللعنات قطرة لم اصبها على رأس الخائنة . وفي سورة الغضب الجارف تذكرت قول صديقي نحات الاصنام فيها . انها كامنة لا مبدئة ، وتحققت دخل اعتقادي في ذات نفسها . وبادرت الى الباب ففتحته موعزا اليها بالخروج الى مثاباتها على قوارع الطريق وكهوف (اشتار) امها العاهرة . فأرتمت على قدمي تقبلهما في هلع شديد وتقسم بكل مقدس انها لن تعبد (افروديت) الا في المحراب المنصوب فيه صنمها . ولكنني في ثورتي على (زهرة) ثرت على امها (اشتار) وقلت لها :

لن تعبدي بعد الان (افرودين) فاذا شئت البقاء في حجري فكوني بنت (هيرة) .

فرضيت عن قناعة ظاهرة وقالت :

هلم بي الى هيكل (انكي)[1] حيث اخلع ثوب العار

---

(١) احد اقانيم اللاهوت البابلي الثلاثة وهو (آنو) و (آنكى) (انليل) وانكى اله الماء والتطهير .

فيأخذني (اسارو)[٢] الى (الخابور)[٣] لاطهر نفسي وجسمي من رجس الاثم في مياهه المقدسة .

بعد التطهير سرت واياها من النهر المقدس مصحوبين بكاهنة من صلبها الى هيكل (انليل)[٤] وفي ذلك المحراب المهيب وضعت (زهرة) يمينها على اسفار (مردوخ)[٥] المقدسة في الخليقة والطوفان ووضعت انا يميني على يمينها فاقسمت لي واقسمت لها يمين الحب والامانة والاخلاص والوفاء مدى العمر ، وباركت الكاهنة الشقيقة في وقار الكهنوت وجد اليمين عقدنا المقدس .

رجعت الى مخدعي فلم ار صنمي الصامت على المنضدة في جماله المعهود . لقد سقطت طبقة من الغشاوة الثخينة المضروبة على عيني فلمحت ما يخيف في نظرات الصنم

---

(٢) اله ماء دون (انكي) وهو اله النقاوة واللمعان والتطهير .

(٣) نهر مقدس مطهر مياهه من الخطيئة والاتم في (اريدو) .

(٤) اعظم الهة الثالوث المقدس عند البابليين .

(٥) اله بابل العظيم .

ولا سيما من العين الغامزة . ولكننى لم أبال كثيرا لان عهد العبادة الجديد بعث فى نفسى بعض الاطمئنان فضلا عن كون زهرة اخذت تمعن فى التنويه بالحب الفاضل . ومع هذا كله كنت بين مصدق ومكذب للعطف الذى اتلقاه منها. وصرت اصيغ سمعا الى ما يتلوه علي كهنة (شمش) من ماضى سيرتها المدونة فى سجلات الهياكل فبت على حذر من شرها المباغت .

مضت سنوات وعود غيرتى يدعر ولا يتقد . وفى خلال فترة السلم مع ربة الصنم راجت فى حبنا اشاعات سوء حول مغامرات (زهرة) فى مجاهل الفساد . فقيل لي انها ترتاد حفلات (السبتيين)[1] وتستعين بساحرات (سرننوس)[2] على امتلاك زمامى ، وانها فى ابان غيابى عن الدار تأتى بكاهنات (عشتروت) وقينات (باخوس) لتضع بايعازهن المناهج لولائم الفجور . وروى بعضهم انها ترتاد

---

(١) طائفة خليعة تمارس السحر والموبقات فى الظلام فى الاعصر المظلمة .

(٢) اله السحر والسحرة عند القدماء .

حلقات بنات (لسبوس)[٣] لتتعلم فنون (صافو)[٤] وتمارس فرائضها ولقيت يوما عميل بيوت الريبة على مائدتها فعرفتني اليه وقالت كاذبة انه من كهنة ابلون وارتني الهدايا التي اهداها اليها ذلك العميل من اسفار اله الاداب والفنون فسهدني اللهم واقضت الغيرة مضجعي • اما (زهرة) فكانت تقسم بعفة (هيرة) الطاهرة انها بريئة من التهمة الشنعاء مقيمة على العهد المقطوع الى ان باغتها يوما مختلية مع كاهنة من هياكل (اشتار) اتتها بدعوة الى ولائم (باخوس) في كهوف (فينس) • فارسلت فيها صرخة غضب والم شديدة قائلا :

- لقد عادت كلبة الجحيم الى رجس قيها •

وكدت من فرط الغيظ اهجم عليها لتقطيعها والكاهنة الشريرة اربا اربا • فانهزمت كاهنة الدعارة لا تلوى على شيء اما (زهرة) فأرتمت على عادتها عند قدمي تناشدني بحق الحب القديم ان انشدها فاصفح عن زلتها واقسمت بما في

---

(٣) جزيرة اغريقية مشهورة بسكنى (صافو) فيها •

الارض والسماء انها بعد هذه السقطة لن تدعنى ارى لها زلة قدم فى مزالق الشر •

ذهبت الى الصنم فرأيته اليوم على غير ما كنت اعهده من الجمال اذ شاهدت فيه بعض ما يخيف •

بعد هذه الحادثة المشؤومة باتت (زهرة) كسيرة القلب مهيضة الجناح تتبعني كظل وترمقني بعين جامدة ككلب أمين يستعطف صاحبه •

فخدعتنى هذه الكرة ايضا بعض الخدعة بظواهر التوبة والندامة ولكننى لم اصدق يمينها ولا ركنت الى ولائها •

فى ذات يوم جلست وحدى امام صنمى الجديد اتأمل التحول الذى طرأ عليه من الجمال الى القبح • فحرت فى امره ومهما حاولت تعليل ذلك التحول لم اوفق فى البحث عن السبب • فسمعت هاتفا يهتف فى اذنى بصوت خافت فيقول :

– ليس التحول فى التمثال بل فى وجدانك • كان تمثالك قبيحا بشعا يوم نحته صديقك نحات الاصنام وهو

لا يزال كذلك • ولكن حبك الاعمى جعلك تراه جميلا • لقد سقطت الغشاوة الكثيفة عن عينك فانكشفت لك الان حقيقة لم ترها قبلا • الا ترى صاحبة التمثال قبيحة بشعة في الخلق والخلق • فالصنم صورتها الحقيقية والنحات أمين في صناعته • وسترى فيه من القبح والبشاعة ما يهولك مشهده لان بعض الغشاوة لا يزال مضروبا على عينيك • حذار من صاحبة الصنم !

لم اشهد انسانا غيرى في الغرفة • فقلت :

لعل هذه رؤيا اسمع فيها صوت صديقى نحات الاصنام يعاتبنى ويحذرنى •

بعد بضع دقائق دخلت (زهرة) في غاية غنجها ودلالها واغرائها وجلست بجانبى • فسألتها :

ـ اترين الصنم جميلا في مبناه ومعناه ؟ اعنى : هل الصنم ينم على جمال المرأة ذاتها لا على دقة الفن وبراعة الصناعة ؟

ـ انه لا صدق صنم يمثل المرأة الجميلة في جسمها ونفسها • انه ليمثل الجمال الحقيقى في جسم المرأة ونفسها •

رأيي الان فيه غير رأيك • جمـــود العينين يخيفني واحتقان الجوارح يبعث في نفسي النفـور منه • الا ترين فيه نشوزا وانخفاضا لا يتفقان ومقتضيات التناسب الجميـل في جسم المرأة ؟ الا ترين في منحنياته شذوذا بعيدا عـــن التكور المطلوب في بنيان المرأة الجميلة ؟ الا تجدين فيـــه ما يبعث الريبة في سجايا صاحبته •

ـ اراك يا حبيبي ـ قد مللت عشرتي بعد قضاء وطرك مني •• اين تعلقك الشديد بزهرتك ؟ هذا شأن المرأة معكم انتم معشر الرجال فانكم بعد اشباع شهوتكم تنبذونها نبـذ النـــواة •

ـ ثقي ـ (زهرة) الحبيبة ـ انني لم اتغير قط ،انني لا ازال مقيما على عهد الوفاء لحبك والاخلاص لهواك • انني لن انسى تعاقدنا راكعين امام المحراب المقدس ويميننـا الأكيدة على الاسفار المنزلة •

ـ لم لا تثق بي ولا تعتمد على حبي ؟ لم غيرت رأيك في الصنم اذن ؟

ـ اجيبي انت عن سؤالك هذا

– ثق انني ابدا مخلصة لك الم اضع كل رب وربة وكل هيكل وكل عابر سبيل من اجل حبك ! فاطمئن بالا وثق انني لك وحدك قد وقفت جسمي وروحي ٠اتصدقني، ايها الحبيب ؟ قل ، يا حبيب (زهرة) المتيمة بهواك ، اتصدقني الان ؟

قالت قولها هذا وطوقتني بذراعيها العاريتين وانشأت تذرف دمعا سخينا يتساقط على وجهي وهي تكاد تلتهمني بقبلها التي شعرت بها شعوري بجمرات نار على شفتي ٠ فنسيت في لحظة عين جميع خطيئاتها وقبلتها القبلة الاولى الصادقة بعد جفائنا الاول ٠ وحانت مني التفاتة الى الصنم فاذا بعيني تراه جميلا !

هدأ ما جاش في كلينا من العواصف النفسانية واخذنا نتحدث حديث حب وهيام كأننا نبث لواعج غرامنا اول مرة ٠ وفجأة تحولت (زهرة) الى جد الحديث فقالت :

– لقد حطمت صنمها ونثرت ذراته في ريح عاصفة ٠

اما صاحبة الصنم نفسها فلا تزال فى عداد الاحياء ترزق بكد يمينك • وما فائدة التحطيم اذا ذهب الرسم وبقيت الحقيقة ؟ انى لخائفة أشد الخوف منها ووجودها فى كنفك يقضى مضجعى ويفقدنى هنائى • فهى اليوم تلبس مسوح (هيرة) وتصلي فى هيكل الربة امها كل صباح وكل مساء ضارعة اليها لتنتقم لها منى • الا خلصنى منها بجرعة سم زعاف تدسه فى دسم تتناوله وانا اعينك على التخلص منها • افعل ما اريد اذا كنت حقا من الصادقين فى الحب •

ـ قولى فى الحب الاعمى المنكر :

ـ سمه ما شئت •

صمتت (زهرة) وصمت انا مبهوتاً احدق الى عينيها الجامدتين جمود نسختها فى صنمها المبخوت وساد الغرفة سكون القبر فرأيت بنت (اشتار) مائلة امامى فى مأرج الدعارة • وكانت يدى ماسكة بذراعها العارية فشعرت كأننى ألمس نحاسا جاسيا باردا • ولم يتم شىء من مكانها ولا من مظاهرها على بارقة عطف او ذرة مروءة في افك كيانها • فقلت فى سرى :

ـ لقد صدق صديقى نحات الاصنام ! لقــد صـدق حقا صديقى نحات الاصنام !

هذه ربيبة (كالى) ـ لا بل هذه بنت (كالى) ـ لا بل هذه كاهنة (كالى) ـ لا بل هذه (كالى) بذاتها !

ثم رفعت صوتى وصرخت صرخة شديدة من فـرط الالم صمت اذنها وقلت :

ـ انك ، ايتها الشيطان الرجيم ـ (كالى) بعينها فى مأرج دعارتك ! تريدينني ، ايتها الجانية الخبيثة ، ان اسفك دما بريئا على مذبح جشعك وشهوتك ؟ ويلاه ، ماذا اصابني اواه ، اين صديقى نحات الاصنام ؟ اين صنمى الطـــاهر المقدس ؟ من ينحت لى صنما آخر لبنت (هيرة) العفيفة ؟ انصرفى عنى ايتها العاهرة القذرة الى كهوف موبقاتـــك واسافل جحيمك • انصرفى قبل ان ادنس يدى بدمـــك النجس !

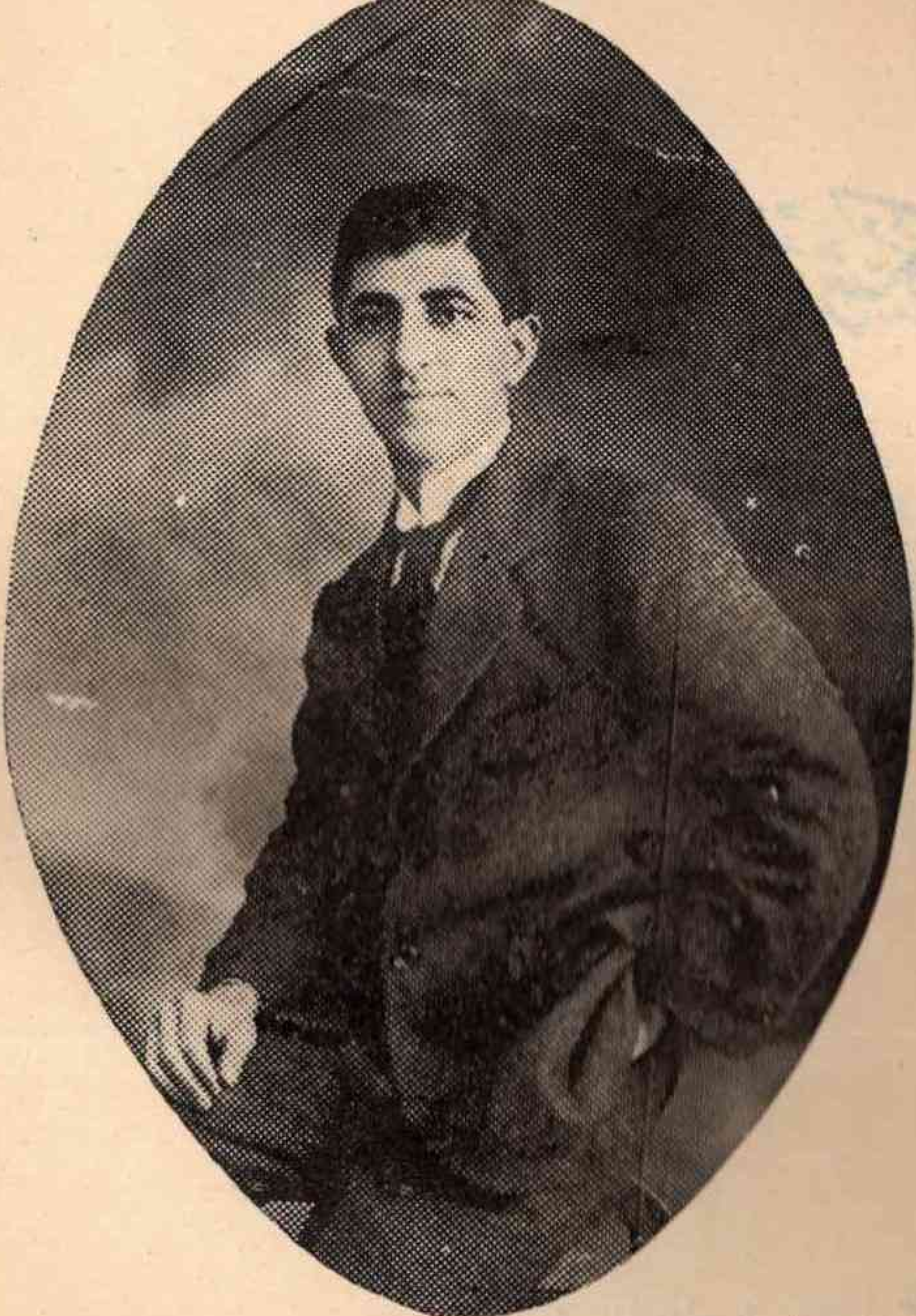
انسلت (زهرة) من الغرفة انسلال الافعى الخبيث • وحانت منى التفاتة الى صنمها فألفيته صنما اسود مخوفـا مهولا غير الصنم المعهود • رأيته يمثل ربة الموت والدمار

فی عنفوان دعارتها ترقص علی جثة عشيقها : الشعر مجدول • اما (زهرة) فلا تزال ترتاد هياكل (افروديت) واقفة علی مدارج هياكلها فی خيطها الكاذب المستعار لتصطاد غرا مثلی سهل الوقوع فی اشراك غرامها •

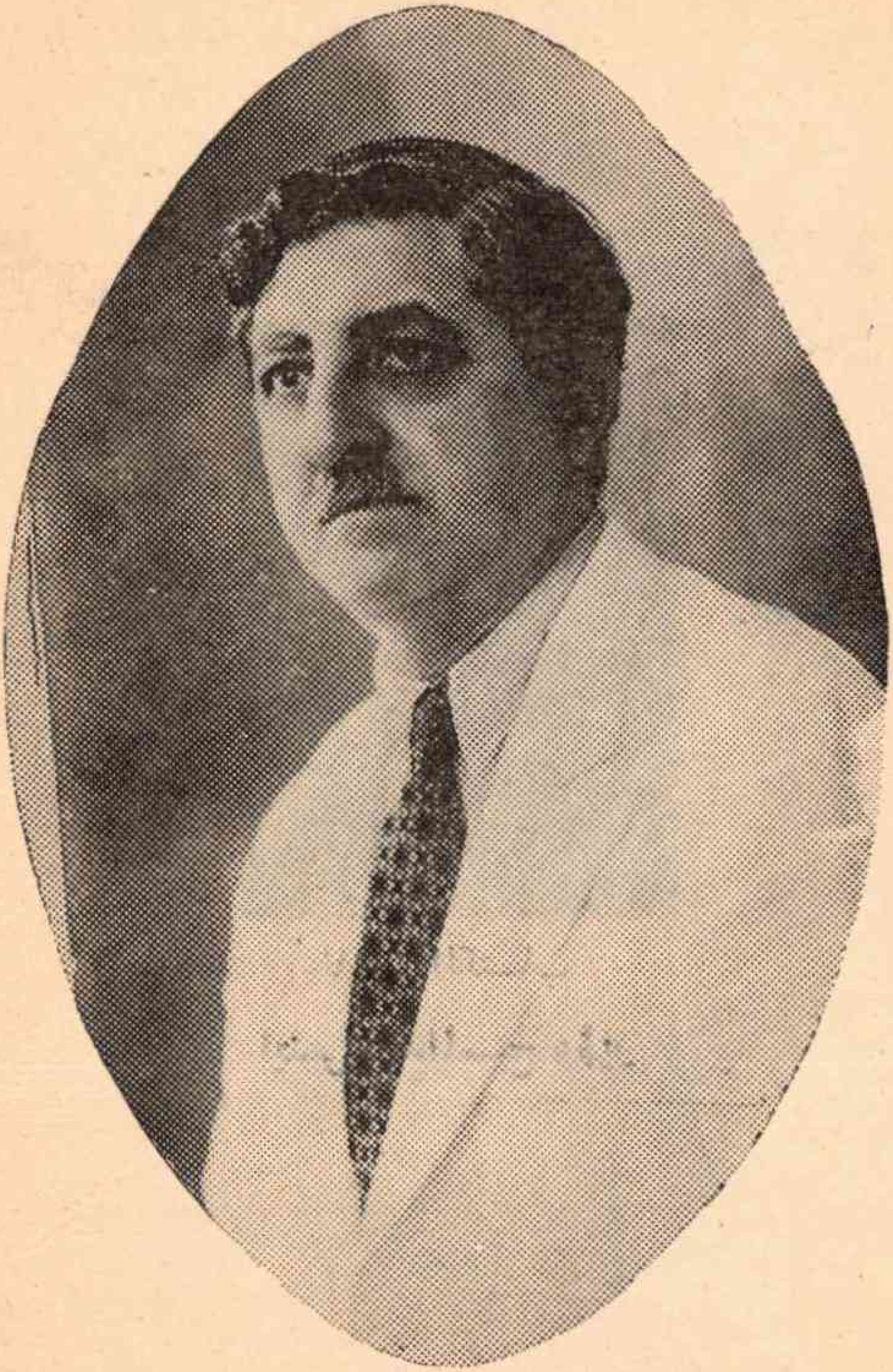
لقد حطمت صنمی الاول المقدس ولا اقوی علی تحطيم الصنم الثانی الدنس لان ناره تحرقنی • وليس من نحات اصنام يجرؤ علی نحت صنم لمعبودتی القديمة بنت (هيرة) ما لم احطم بيدی اولا صنم بنت (اشتار) الواقف امامی يعذبنی عذاب جحيم دائم •

فويل لی انا الانسان الشقی من هذا المصير الفاجع مع (زهرة) بنت (اشتار) وربيبة كآلی ! •

الفهرس



عبدالمسيح وزير في شبابه



عبدالمسيح وزير في اواخر ايامه



ناشرة الكتـاب

اينس عبدالمسيح وزير

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٧٧ لسنة ١٩٧٢
تاريخ انتهاء الطبع في ١/١٢/١٩٧٢
عدد الطبع ٣٠٠٠ نسخة

مطبعة شفيق ـ بغداد